

## رؤية الشهيد الصدر ليوم الغدير كخط شروع لتفعيل دور الإمامة الالهي والتاريخي

م.م. علي جلوب العيبي

كلية التربية / جامعة ميسان / العراق

alichloob1@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0003-3098-9809>

### الملخص:

يسلط البحث رؤية الشهيد الصدر، محمد باقر (قدس) لحادثة يوم الغدير بوصفها لحظة تاريخية مفصلية في تاريخ الاسلام ، تمثل الانطلاقة في شروع دور الإمامة الإلهية والتاريخية. وتتمحور مشكلة البحث في محاولة الاستيضاح والاستفهام من سر الإجراءات الاستثنائية التي عمل بها رسول الانسانية عليه وسلم ليوم الغدير الاغر، من إيقاف الحجيج، ونصب المنبر، وإعلان ولاية علي (ع)، وما تخلله من تشديد على اعلان الدعوة ، وما تتطوي على هذه الافعال من اشارات تتعدى السياق الزمني لتؤطر وتجذر بنية الامامة وتبلور مفهومها. وتتمثل اهمية البحث في تسليطه الضوء على المجالات العقدية والاجتماعية والسياسية لعقيدة الولاية ، ويبرز الصدر في تحليله لهذه القضية عمق رؤيته وبعده نظره بوصفها اخطر قرار الهي بعد بعثة النبي الاعظم . أما أهداف البحث فتتجلى في: تحليل فلسفة الإمامة في فكر الشهيد الصدر، المحاولة في استكشاف الظروف المحيطة بتنصيب الامام علي (ع) يوم الغدير، مناقشة المرجعية الفكرية للإمام، ودراسة دور الإمام علي (ع) واثر امامته في معالجة الامراض الفكرية والروحية ومدى تأثيره العملي. وتواجه الدراسة صعوبات أبرزها ندرة المصادر التي تناولت موقف الصدر من الغدير بشكل مباشر، وتداخل البعد السياسي والتاريخي مع العقائدي، مما يستلزم التحليل الدقيق وتفكيك وفحص معمق للرؤى. وقد بُني البحث على هيكلية تضمنت ثلاثة مباحث: الأول عرض لمفهوم الإمامة في فكر الصدر بخطيها؛ خلافة الإنسان لله وخط الشهادة، الثاني دراسة للظروف السابقة واللاحقة لتنصيب الإمام علي (ع) وما تخللها من احتمالات سياسية وتاريخية، والثالث تناول دور الإمام علي (ع) في الأمة من زاوية سيكولوجية واجتماعية تشخيصاً ومعالجةً. وبذلك يُسهم البحث في تسليط الضوء على قراءة الشهيد الصدر المتجددة لعقيدة الإمامة ودلالاتها المستقبلية.

الكلمات المفتاحية: الشهيد الصدر، يوم الغدير، خط شروع، دور الامامة.

## :Abstract

This study explores the vision of Martyr Muhammad Baqir al-Sadr (may he rest in peace) regarding the event of Ghadir as a pivotal turning point in Islamic history—marking the inauguration of the divine and historical role of the Imamate. The research problem lies in examining the underlying rationale behind the Prophet's (صلى الله عليه وسلم) extraordinary measures on that day: halting the pilgrims, erecting a pulpit, proclaiming the authority of Imam Ali (A), and insisting on the public announcement of this message. These actions, as interpreted by al-Sadr, extend beyond their immediate historical context to establish and crystallize the very foundations of the Imamate.

The significance of this study emerges from its focus on the doctrinal, social, and political dimensions of the principle of wilayah (divinely ordained authority). Al-Sadr's analysis demonstrates both the depth of his intellectual vision and the breadth of his foresight, considering the declaration at Ghadir as the most decisive divine act after the Prophet's mission.

The study pursues several key objectives: analyzing the philosophy of the Imamate within al-Sadr's thought; exploring the historical circumstances surrounding the appointment of Imam Ali (A) at Ghadir; examining the intellectual authority of the Imam; and assessing the role of Imam Ali (A) in addressing intellectual and spiritual challenges, as well as his practical influence on the community.

The research faces significant challenges, notably the scarcity of sources that directly discuss al-Sadr's position on Ghadir, and the intricate interplay between political, historical, and theological dimensions. This necessitates a careful and critical analytical approach.

The study is organized into three sections: the first discusses the concept of Imamate in al-Sadr's thought through its two dimensions—man's vicegerency of God and the principle of testimony; the second investigates the political and historical context preceding and following the appointment of Imam Ali (A); and the

third examines Imam Ali's (A) role within the ummah from psychological and social perspectives, focusing on diagnosis and remedy.

In doing so, the research contributes to highlighting al-Sadr's renewed interpretation of the doctrine of Imamate and its future implications

Keywords: Martyr al-Sadr, Day of Ghadir, point of departure, role of the Imamate

## مقدمة البحث:

بسم الله الرحمن الرحيم..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق محمد وآله الطاهرين.

اما بعد: لنعيد ذلك المشهد التاريخي العظيم، على وجه السرعة، ( لما أتمّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مناسك الحج، رجع إلى المدينة وكان معه المسلمون، فوصل في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة إلى منطقة تدعى غدِير خَم، وتقع في مفترق طرق، وذلك بموكب كبير من الحجيج، وقبل تفرّق الحجاج إلى بلدانهم نزلت عليه آية التبليغ، فأمر الناس بتجهيز مقدمات ذلك الأمر مثل الإعلان بتريث المسلمين الحجاج وتوقفهم في ذلك المكان، وأمر(صلى الله عليه وآله وسلم) بإرجاع الذين سبقوا الآخرين بالذهاب وإيقاف القادمين، حتى تجمّع عدد غير من الحجاج.

فأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الحجاج أن يصنعوا له منبراً من أحجاج الإبل حتى يراه الحاضرون جميعاً، ويسمعون كلامه، فارتقى النبيّ ذاك المنبر وخطب الناس خطبة غزاء وقال فيما قاله:

أيّها الناس ألسن أولى بكم من أنفسكم؟ - ثلاثاً - وهم يجيبونه بالتصديق والاعتراف، ثم رفع يد علي (ع) وقال: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله... ثم قال: فليبلغ الحاضر الغائب.

فطفق القوم يهتفون أمير المؤمنين عليه السلام، وممن هنا في مقدّم الصحابة: عمر بن الخطاب، فقال له: بخ بك يا بن أبي طالب أصبحت وأمّسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

ثم جلس(صلى الله عليه وآله وسلم) في خيمته وأمر علياً عليه السلام أن يجلس في خيمة له بإزائه، وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً فيهنّوه بالمقام، ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل الناس ذلك كلهم<sup>(١)</sup>.

ولنسأل الان، لماذا صدرت كل هذه الاوامر الملفتة والمفاجأة، من أيقاف كل الحجيج قبل تفرقهم، وإرجاع من تقدم منهم، واستعجال من تأخر، وإصدار أمره بأعداد منبر عاليا له ليسمعه كل الحجيج، فُبيل الاعلان

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، (الطبعة الاولى)، انتشارات الشريف الرضي، ١٣٨٠ هـ، ص ٣٨.

الرسمي لعملية تنصيب الامام ، ثم يؤكد على أبلاغ الحاضر للغائب، ويضرب لعلي خيمة أزاء خيمته، ويأمر جميع الحجيج بالدخول عليه لتهنئته، هل كانت كل هذه الاجراءات المهمة والمكثفة عفوية؟ ام تراها كانت لأجل الابلاغ عن نزول أية جديدة فحسب؟ أم أن في كل هذه الاجراءات حمولة من الدلالات، أراد لها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ان تبقى عالقة في ذاكرة الحاضرين، وأفصح عنها الرسول بأفعال قبل الاعلان الرسمي المهيب وبعده.

ما هو مؤكد عقائدياً عندنا، ان الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقل قولاً، ولم يفعل فعلاً، وفقاً لاجتهاده الشخصي، ومن دون أن يحسب حساب السماء فيه، ولا مكان للاعتباط أو العفوية في مقاصده . حاشاه .، وهذا ما يمسك بتلابيب كل منصف ليجعله يفكر بطريقة أخرى، في كل ما قام به الرسول في يوم الغدير . وهذا ما يجرنا الى القول: ان لحظة الغدير بكل تفاصيلها، كانت لحظة فارقة، لا بتاريخ الارض فحسب، بل في حسابات السماء أيضاً، كانت خصوصية ذلك اليوم واضحة ايضاً، في الطلب المتكرر. بحسب بعض الروايات . الذي ينقله جبرائيل الى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليلبغه بإعلان الوصية لعلي، ولكن الله ورسوله يعلمون بتعقيدات ما يجري على الارض وخطورتها، فيؤجل الامر، وكانت أشاعت الله أن يكون موقع الغدير، ويوم الثامن عشر من ذي الحجة، هو الزمان والمكان الانسب، الذي يجب ان يعلن فيه هذا القرار، فيتبين من ذلك، أن هذا القرار هو أخطر قرار الهي بعد اختيار النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) رسول الله في الارض، والمعروف أن النبوة والامامة لا يختلفان الا بالوحي، وعلينا أن نتمهل قليلاً، فسيكون للسيد الشهيد السعيد محمد باقر الصدر، حديث مستفيضاً حول النبوة والامامة والعلاقة بينهما، ولكن مادام هذا البحث في منظار الصدر، وكل ما فيه هو من الصدر أكيد، فلنعجل بسؤال الصدر عن هذا الموقف الغريب والمدوخ من قبل الرسول، فلماذا يبطل الرسول في التبليغ يا ابا جعفر؟؟ يقول الصدر:

ولكي نفهم هذا يكفي أن نلتفت إلى نفس ما أصاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الرائد الأعظم لهذه الرسالة، ما أصابه من قلقٍ وارتباكٍ في سبيل تركيز إمامة علي بن أبي طالب ، ماذا دهى نبي الله وأصابه ؟ هذا النبي العظيم الذي لم يتلكأ ولم يتلعثم ولم يتردد في أي لون من ألوان التركيز والعمل في سبيل تلك المهمات . هذا النبي العظيم الذي لم يشعر بالخوف ولا القلق، والذي لم يخفق قلبه بأي لون من ألوان الوسواس والشكوك، ولا بأي لون من ألوان الضعف والانهيار، هذا النبي صلى الله عليه وسلم ذاته يقف حائراً أمام الأمر الإلهي في أن يبلغ وأن يركز إمامة علي بن أبي طالب ، حتى جاء ما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم من إنذاره بأن يُبلغ ، وإلا فكأنه لم يبلغ الرسالة أي أنه كان مستوى الخطر في نظر النبي صلى الله عليه وسلم يصل إلى درجة هدر شخصيته، شخصية الرائد الأول وصاحب الرسالة، أي أن الانحراف كان على سبيل من المنعة، هذه المنعة التي كانت تمنع عن تزعم علي سلام الله عليه لتجربة اسلامية عميقة قوية واسعة؛ درجة أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه كان يخشى من أن يُعلن عن تشريع هذا الحكم(١). فمن أساليب هذه المنعة هو أسلوب اللغظ والتضييع، التي أستخدمها البعض

(١) الصدر، محمد باقر، (١٤٣٠هـ)، أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الاسلامية، ( الطبعة الثالثة) شريعت - قم

في ( رزية الخميس ) أياها، وربما من الاساليب التي خافها النبي هو اغتيال علي، او القيام بفوضى يعقباها انقلاب، وكل الاحتمالات مفتوحة، وأحد هذه الاحتمالات وهو سيناريو مؤتمرالسقيفة الذي نجح بالفعل فيما بعد، بالرغم من عرس التتويج الرسمي لعلي كولي لأمر المسلمين، في أكبر حفل إسلامي شهده مائتي الف مسلم . على تقدير بعض الروايات، ولرب سائل يسأل فلماذا أذن هذا الاحتفاء العظيم؟ وهذه الاجراءات الكرنفالية المكثفة من الرسول والمخلصين القلة الذين كانوا مع الرسول؟ ومن ثم مع علي في كفاحه الذي تساوى . اذا لم يفق كفاح الانبياء، وبالعودة الى السؤال الذي يشملنا . بالطبع . نحن المحققين اليوم، بعد الف واربعمئة سنة ونيف، لماذا يستمر الاحتفاء بهذه المناسبة على الرغم من ان علي لم يتسلم الحكم بعد وفاة النبي، ولم يستلمه أحد من أهل البيت؟؟ فنجيب، أن للقصة بقية مازالت لم تُكتمل الى اليوم، ولن تكتمل الا بظهوره الذي سيملاًها قسطاً وعدلاً، ونحن ما بين هذين اليومين، يوم تنصيب علي ويوم ظهور الامام، مأمورين أن نعي كل تفاصيل القصة المروية الى الان، من كنه التنصيب وفحواه وفلسفته، وموضوعه الذي هو مفهوم الامامة، وخصائص هذا المفهوم وادوار الائمة (ع)، منذ رحيل الرسول والى غياب قائمهم(ع)، بوصفهم التجسيد الحي للقران والاسلام المحمدي الاصيل، وهنا الباحث يحاول في بحثه أن يسلط الضوء على هذه الاسئلة، إضافة الى قضايا أخرى أجملها في ثلاثة مباحث:

وكان المبحث الاول الذي أشتمل على قسمين

المبحث الاول: القسم الاول تضمن عرض لمفهوم الامامة بخطيها؛ خلافة الائمة لله في الارض، وخط الشهادة، والتي تناول السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) أغلب موضوعاتها بحثه المهم، خلافة الانسان وشهادة الانبياء في كتاب الاسلام يقود الحياة.

والقسم الثاني من هذا المبحث تناول الباحث فيه نظرية السيد الشهيد المتعلقة بالدور الشمولي للائمة في الحياة الاسلامية.

أما المبحث الثاني: فقد خصصه الباحث للبحث في الظروف السابقة واللاحقة لتنصيب الامام علي في يوم الغدير، والاحتمالات المنطقية والعقلية لوجود أو عدم نظام سياسي غير نظام التعيين الذي أقره الرسول(صلى الله عليه وسلم)، كما تم مناقشة المرجعية الفكرية والميدانية للامام، وقد أتمدنا في هذا المبحث على البحث اللامع، نشأة التشيع والشيعا للسيد الشهيد.

أما المبحث الثالث: فقد كان دراسة شبه تطبيقية لدور الامام علي في الامه، وقد اقتصرنا الحديث فيه على الجوانب السيكولوجية للامة وأمراضها وكيفية تشخيص ومعالجة مرض الامة من قبل الامام علي (ع).

وأخيراً لا بد من تكرار تأكيدنا على أن كل ما في هذا البحث . من الجلد الى الجلد . من كد وزاد فكري أنما هو لسيدنا اية الله الفكرية والشرعية الشهيد محمد باقر الصدر، وليس لنا من جهد، الا اللهم في هذا الجمع والترتيب والتلخيص والنقل لأفكاره، التي ربما أسأنا أو شوهنا بعض منها، من حيث كنا نريد أن نتشرف

بالمساهمة في نشر شيء من بحر علمه المنسي، ولكن عذري اليه، هو انني قرأت يوماً عبارة مرعبة، لازلت كل ما أتذكرها أضطرب وتتأبني رعدة، تلك العبارة التي قالها صاحب أهم وأروع كتاب كتب في فكر الشهيد الصدر، أعني بالتأكيد الدكتور الجزائري محمد عبد اللاوي الذي قال في الصدر (انه عالم لم يكتشف بعد)، . ويحلو لي أن أقرأها بفتح اللام لا كسرهما، كيف لا وهو ذلك الرجل الذي يسأل عنه أمير المؤمنين!! فلنختم حديثنا أذن بهذه الرواية التي ينقلها الشيخ أحمد أبو زيد العاملي في الجزء الثاني من كتابه الموسوعي ( محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق):

تقدم أن السيد الصدر . رحمه الله . كان في بداية حياته العلمية مواظباً على الذهاب في كل يوم إلى حرم الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، فكان يؤدي الزيارة والصلاة ثم يجلس ليفكر بالمسائل العلمية المعقدة، مستلهماً من باب مدينة العلم الله، وكان يقول: ما استعصى علي حل لمسألة في حرم أمير المؤمنين. وقد انقطع عن الذهاب إلى الحرم الشريف فترة من الزمن، ولم يكن أحد يعلم بذلك كله إلى أن كشف هذا الأمر الحاج عبد الحسن، فقد رأى في عالم الرؤيا أمير المؤمنين فقال له:

(قل لولدي السيد محمد باقر الصدر لماذا انقطعت عن حضور درسنا ؟).

فقص هذا الرجل رؤياه على السيد إسماعيل فقال له: ( لا أعلم بذلك، فليأت السيد محمد باقر ونسأله عن ذلك). فلما جاء السيد محمد باقر حكوا له الرؤيا فتبسم وقال: (سبحان الله، إني كنت أعتنم خلو الحرم الطاهر من الزائرين بعد صلاتي الظهر والعصر فأذهب إلى الحرم الشريف لمطالعة دروسي لأستلهم من روحانية الإمام أمير المؤمنين وأستفيد من فيض علومه، ومنذ يومين لم أذهب إلى الحرم). وعاد السيد الصدر إلى ما كان عليه واستمر عليه حتى آخر يوم قبل احتجازه.

### المبحث الاول: الجانب الالهي والنظري لفلسفة منصب الامامة

لمعرفة اهمية يوم الغدير، بوصفه لحظة اعلان رسمي عن البدء بتسلم مهام وأعباء خط الشهادة، من قبل الائمة، وعلى رأسهم الامام علي بن أبي طالب (ع)، بعد رحيل الرسول الخاتم(صلى الله عليه وسلم)، الذي مثل هذا الخط خير تمثيل، فلا بد لنا لمعرفة أهمية هذه اللحظة، أن نعرف المسؤولية والمهام والادوار التي انيطت بمنصب الامامة، بالنظر الى كشف تخطيط وفلسفة هذا المنصب، بمنظار السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره).

#### اولا: الامامة وخط الشهادة:

##### 1. مفهوم خط الشهادة

بحث السيد الشهيد في الكثير من كتبه وبحوثه موضوع الامامة، فعالجها من جهة النصوص المقدسة التي تناولتها، كما بحثها من خلال تحليله العلمي والموضوعي للظروف الاجتماعية السياسية ومقدار الوعي الفكري

للإمامة الإسلامية، بوصف الإمامة ظاهرة ربانية وتاريخية، يتطلبها الإسلام بصفته قائد للحياة، ويستلزمها الواقع الذي يحتم وجودها في المرحلة التالية لعصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ( فالشهاد السيد محمد باقر الصدر عالـج قضـية الإمامة من خلال فقه الشرع، وفقه الواقع، فمرحلة الإمامة لا يمكن تصور وجودها خارج المشروع الحضاري الإسلامي، أي خارج مبدأ الإسلام دين ودولة، ومبدأ الإسلام صالح لكل زمان ومكان)<sup>(١)</sup>

و كما ترعى الكواكب، وكل ذرة في الكون من خلال القوانين الطبيعية التي خلقها الله (جل جلاله)، وكذلك السنن والقوانين التي تحكم التاريخ، فقد رعى الله (جل جلاله) الإنسان الحر بوضع قوانين لتكامله، وكانت هذه الرعاية الإلهية عبر خطين أو قانونان متوازنان، الأول هو (خط الخلافة) الذي حدد فيه دور الإنسان . كنوع . ومسؤوليته وفلسفة وجوده في الأرض، بوصفه خليفة لله في الأرض، يقود الكون ويعمر الأرض الطبيعية، ويحكمها اجتماعياً. ووضع الله (جل جلاله) إلى جانب خط خلافة الإنسان، خطاً موازياً هو خط ( الشهادة) والذي يمثل تدخلاً ربانياً لصيانة الإنسان الخليفة من كل انحراف يتأتى من المغريات والشهوات، وحمائمه وانتشاله من لحظات الضعف والانجراف نحو التسافل من جهة، ولارشاده وتوجيهه باتجاه أهداف الخلافة المنشودة، من جهة أخرى<sup>(٢)</sup> .

## ٢. اصناف وأدوار الشهداء:

وقد أستدل السيد الشهيد، على وجود هذا الخط، واصناف المناصب، والشهداء الذين يشغلونها، بهذه الآية:

﴿أَنَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا أمكن القول بأن خط الشهادة يتمثل :

أولاً: في الأنبياء.

ثانياً : في الأئمة الذين يعتبرون امتداداً ربانياً للنبي في هذا الخط.

ثالثاً: في المرجعية : في المرجعية التي تُعتبر امتداداً رشيدياً للنبي والإمام في خط الشهادة.

والشهادة على العموم يتمثل دورها المشترك بين الأصناف الثلاثة في ما يلي :

أولاً : استيعاب الرسالة السماوية والحفاظ عليها : ( بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ )

(١) عبد اللاوي، الدكتور محمد، فلسفة الصدر، دراسات في المدرسة الفكرية للإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر ، ( الطبعة الثانية )، مؤسسة العارف للمطبوعات بيروت - لبنان، ص ٢٨٩، (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢).

(٢) ينظر: الصدر، محمد باقر، (١٤٢٦ هـ)، الإسلام يقود الحياة، المدرسة الإسلامية، رسالتنا، (الطبعة الثالثة)، قم، ص ١٣٦

(٣) سورة المائدة، الآية (٤٤)

ثانياً : الإشراف على ممارسة الإنسان لدوره في الخلافة ومسؤولية إعطاء توجيهه بالقدر الذي يتصل بالرسالة وأحكامها ومفاهيمها .  
ثالثاً : التدخل لمقاومة الانحراف واتخاذ كل التدابير الممكنة من أجل سلامة المسيرة(١)

وبناءً على ماسبق فالشهاد مرجعية فكرية وتشريعية عقائدياً، وهو يوجه الأمة في مسيرتها ويشرف الأمة على ارتباطها بالرسالة الإلهية المكلف بحملها، وتقع على عاتقه مسؤولية تصحيح سير الأمة حال انحرافها عن رسالتها.

### ٣. شروط الشهيد:

ثمة شروط يكشف عنها الصدر يشترك فيها جميع الشهداء سواء كانوا أنبياء أو أئمة أو مراجع، ومنها:

أ. العدالة وهي الاعتدال والوسطية في السلوك، بالمعنى الذي وصفه القرآن الكريم في قوله الله(جل جلاله):

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (٢).

ب . العلم والاستيعاب الكامل للرسالة، كما في قوله تعالى: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ (٣).

ح . الوعي والتبصر بالواقع القائم، الذي يستبطن المراقبة للشروط الموضوعية، والظروف التاريخية التي يعاصرها الشهيد، وفقاً لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ﴾ (٤).

ج . الاتصاف بملكات وصفات نفسية خاصة مرتبطة بالتعقل والحكمة والشجاعة والصبر التي تتأتى من خلال المراس في المحن ومعاناة التجارب الاجتماعية في سبيل الرسالة، والتي ينتج عنها اختيار الشهداء، كما في قوله (جل جلاله): ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ (٥)(٦).

### ٤- الفرق بين أصناف الشهداء:

يرى الصدر ، أن ثمة فروقات جوهرية بين الشهداء الثلاث في طريقة أداء دور الشهادة ومنها:

(١) المصدر السابق الصدر، ص ١٣٦

(٢) سورة البقرة، الآية ؛ ١٤٣

(٣) سورة المائدة، الآية ؛ ٤٤

(٤) سورة المائدة، الآية؛ ١٧٧

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٤٠

(٦) ينظر، الاسلام يقود الحياة، المصدر السابق، ص ١٣٩

أ. النبي والامام يتم اختيارهم من الله (جل جلاله) فيرسل على النبي وحياً بالرسالة، ويجعل . الله . الامام وفق (عهد رباني) مستودعاً لتلك الرسالة، اما المرجعية فمقام يمكن أكتسابه بالعلم والعمل المخلص من قبل المرجع.

ب. يرتبط الفرد المكلف بالنبي ارتباطاً دينياً فيأخذ أحكام الرسالة منه وهذا ما يجعل الاول مسلماً بالنبي، بينما ارتباط المكلف بالامام يجعل منه مؤمناً بالامام، بينما ارتباط المكلف بالمرجع يجعل منه مقلداً للاول.

ج. يجب أن يكون النبي والامام معصوماً، أما المرجعية، ولأن المرجع محدد تحديداً نوعياً، وليس شخصياً، أي أن الطرف المتعاقد مع الله ليس شخصاً بل مركزاً له وصفات عامة، وعليه فأن المرجع الذي تنطبق عليه موصفات مركز الشهادة، أن تكون له من العدالة درجة عالية تقترب من العصمة<sup>(١)</sup>.

ومن الملفت للنظر، ذلك الفهم الذي يجترحه السيد الشهيد لمفهوم العصمة فهو إضافة الى كونه أندكاً وتماهياً مع الرسالة بكل تفاصيلها أو قل بلغة الصدر الاخاذة؛ أن العصمة هي (عبارة عن الانفعال الكامل في الرسالة، والتجسيد لكل معطياتها في النطاقات الروحية والفكرية والعلمية)<sup>(٢)</sup> ويضاف الى هذا الانفعال والتفاعل من الامام، النزاهة الظاهرة للامام في الحكم، وكذلك نزاهة محتواه الداخلي، ليتجسد فيه المعنى الشامل للعصمة، يقول الصدر (عصمة الإمام ليست هي عبارة عن مجرد النزاهة في الحكم، وليست هي عبارة عن مجرد الترفع عن المال، بل هي عبارة عن النزاهة في كل فكرة، وفي كل عاطفة، وفي كل الشؤون. والنزاهة في كل فكرة وعاطفة وشأن عبارة عن انصهار كامل مع مفاهيم وأحكام الرسالة الإسلامية في كل مجالات هذه الأفكار والعواطف والشؤون)<sup>(٣)</sup>

## ٥. وصاية الامام على الرسالة:

رؤية الصدر لعلاقة الامام بالامة، هي ذات العلاقة التي أنتهجها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في علاقته بالامة، تلك الامة التي شكلها وبنها الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فخلق من جهة أخرى، من خلال هذا البناء، حركة جديدة للتاريخ محت به كل تاريخ الجاهلية، بمنظومته الثقافية والاجتماعية، وكان غاية حركة التاريخ الجديدة بدأها النبي، وهي حركة اصلاح وأيجاد وتكامل وعي، تريد الوصول بالامة الى (الامة المعصومة) يقول الصدر: (كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يمارس عملية توعية الامة، وعملية الارتفاع بالامة الى مستوى أمة معصومة)<sup>(٤)</sup>

ولكن الوصول الى هذه الغاية يتطلب عمراً هو بالتأكيد أكبر من العمر الاعتيادي للنبي (صلى الله عليه وسلم)، وهكذا فقد التحق الرسول القائد الى رفيقه الاعلى، والامة في بداية طريق تكاملها، ولكنه (صلى الله عليه وسلم)

(١) المصدر نفسه، ص (١٣٧-١٣٨)

(٢) الصدر، أئمة أهل البيت ودورهم في تحصيل الرسالة الاسلامية، المصد السابق، ص ١٧٠

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٢

(٤) مصدر سابق، ص ١٧٤

وسلم) كان قد أعد عدة هذا الرحيل المبكر، فعين . بأمر من الله . الاوصياء الاثني عشر بعده، وأعلن عنهم في مناسبات كثيرة، كان أهمها وصيته المباشرة بالامام علي في أعظم ملاً للامة في يوم الغدير .

فالامام كالنبي أذن، هو معصوم يمارس الخلافة الالهية على الارض، وفي ذات الوقت، يمارس دور الشهادة، يقوم بتربية الامة وتكاملها، وحيث أن الرسول قام بأكمل التبشير بالرسالة، فيأتي دور الوصي الشهيد والخليفة، فيؤمن عليها، ويواصل الحفاظ على الرسالة لتحقيق أهدافها.

ومن الجدير بالذكر، أن الصدر يؤكد على أن الامامة ظاهرة ربانية ثابتة على مدار التاريخ، تجسدت في شكلين ألهيين:

الشكل الاول: وهو الشكل الذي تجسدت فيه الامامة على شكل نبوة تابعة لنبي سابق، ففي فترات كثيرة خلف النبي الرسول، أنبياء ولكن ليسوا مرسلين برسالة، وإنما يتمحور دورهم في المحافظة على رسالة الرسول السابق لهم، فهم في هذه الحالة أنبياء يوحى لهم، ولكن لا رسالة لهم، إنما هم أوصياء على رسالات الرسل السابقين. ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ \* وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴾<sup>(١)</sup>

الشكل الثاني: وهو الوصاية والامامة بلا نبوة، وهو الشكل الذي أمر الله رسولنا(صلى الله عليه وسلم) بالاختصاص به، فأوصى لعلي والائمة من بعده.

ويرى الصدر، أنما يحدد أتباع احد شكلي الوصاية هو مدى أكمل تبليغ الرسالة، فإن أكمل الرسول النبي تبليغ رسالته، فيؤخذ بالشكل الثاني، ولهذا فقد أصبح أوصياء نبينا (عليه وعليهم صلوات الله) ليسوا أنبياء بحسب كتاب الله(جل جلاله) الذي نص ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾.

وثمة ملاحظة أخرى يضع الصدر أصبعه عليها، تتعلق بالرابطة النسب أو الذرية والابناء بين الرسول والاصياء، وهي ليست محصورة في النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وأوصيائه (عليهم السلام) بل انها وجدت في عدد كبير من الرسل وأوصيائهم ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالكِتَابَ )<sup>(٢)</sup>، ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ﴾<sup>(٣)</sup>

فالوصي كان يتم اختياره من قبل الله، عبر علاقة القرابة النسبية ما بين الاول والرسول، لا على اساس التوارث في هذه العلاقة، بل على أساس أن هذه القرابة هي الاطار الانسب لتربية الوصي، لكون الرسول سيقى أكثر التصاقا بوصيه وفق هذه العلاقة، فيشرف أشرفاً مباشراً على تربيته. وأما إذا لم تحقق هذه القرابة تلك

(١) سورة الانبياء، الآية (٧٢-٧٣)

(٢) سورة الحديد، الآية، ٢٦

(٣) سورة الانعام، الآية، ٨٤

الغاية، فلن يكون لها أثر بالحسابات الالهية قال الله تعالى : ﴿ وَادِّ ابْتَلَىٰ اِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ اِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup>

والمعلوم أن الائمة من أهل البيت قد أزيحوا عن موقع خلافة الله في الارض، بعد أحداث مؤتمر السقيفة سيء الصيت، وبذلك أستبعدت الامامة الربانية عن قيادة الامة سياسياً واجتماعياً، ولكنها بقيت محتفظة بخطها الثاني . خط الشهادة . عبر رجوع الامة الى الامام عند حاجتها اليه، وقد بقي الامام علي شهيداً للامة تهرع اليه كموجها ومشرفاً على مسيرة الاخير، كلما عجزت عن مواجهة مشكلة شرعية أو عقائدية أو سياسية، حتى أشتهر عن عمر مقولته ( لولا علي لهلك عمر) وقوله ( اللهم لا تُبْقِنِي لمعضلة ليس فيها أبو الحسن ).

ولكن سرعان ما أنتزع هذا الخط . الشهادة . من الامام علي، وتم تجريده من كلا الخطين، بعد أن تراكمت الاخطاء، وعادت الكثير من رواسب الجاهلية الى الظهور، وقد أوشكت أن تُستأصل بجهود الرسول والامام، ولكن هذه الجهود ضُيعت بصعود أشخاص ليسوا أهلاً لقيادة الامة، كما في عثمان الذي شهدت خلافته دخول أعداء الاسلام القدامى الى المشهد السياسي وأستحوذهم على مراكز مهمة، وقد تمكنوا بعد ذلك من الاستيلاء على مقاليد حكم الدولة الاسلامية، باعلان معاوية عن نفسه رئيساً للدولة الاسلامية بمكره وقوة النار والحديد، فكانت تلك أعظم مأساة في التاريخ الاسلامي.

وقد مارس الائمة في ظل هذه الثورة المضادة، دوراً محورياً تمثل بتجسيدهم للاسلام الثوري الحي، من جهة، وتمثيلهم للخط الرافض لكل صنوف التزوير والانحراف، وفضحهم لكل أنواع الاستغلال من جهة أخرى، الى أن كلفهم ذلك حياتهم الواحد تلو الاخر<sup>(٢)</sup>.

ولنترك لدعاء الندبة . الذي يستحب قراءته في يوم عيد الغدير ضمن طقوسنا العبادية في ذلك اليوم العظيم . لينقل لنا هذه الصورة الحية لجهود وجهاد الائمة، منذ لحظة سقوط الامام علي في محرابه: ( ولما قضى نحبه وقتله اشقى الآخرين يتبع اشقى الأولين، لم يمتثل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في الهادين بعد الهادين، والامة مصرّة على مقتله مجتمعة على قطيعة رحمه وأقضاء ولده الآ القليل ممن وفى لرعاية الحقّ فيهم، فقتل من قتل، وسبي من سبي وأقصي من أقصي وجرى القضاء لهم بما يرجى له حسن المثوبة، إذ كانت الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)<sup>(٣)</sup>.

ولانريد المضي بسرد تفاصيل ذلك التاريخ المأساوي، بقدر ما نريد ان نصل نتيجة ذلك الواقع المروع ، التي حتمت غياب الامام الثاني عشر، هذا الغياب الذي كاد يفضي لتشتت القواعد الشعبية وضياعها، لولا التخطيط الالهي المسبق، الذي حكم بالترج في الغيبة تفادياً لأثار الصدمة على الكتلة الشيعية، فمارس الامام غيبة صغرى، كان يتواصل خلالها بالخواص المعينين من الشيعة، وما أن أعتادت القواعد الشعبية على تلك

(١) سورة البقرة، الآية

(٢) ينظر، المصدر السابق، الاسلام يقود الحياة، ص( ١٥٤ - ١٥٨ )

(٣) القمي، الشيخ عباس، (٢٠٠٩) مفاتيح الجنان، مطبعة الغدير دمشق - سوريا، ص ٦١٠

الطريقة للتواصل بينهم وبين امامهم بقية الله في الارض، حتى أعلن الامام عن غيبته الكبرى، وبذلك بدأت المرحلة الاخيرة من مراحل خط الشهادة متمثلة بالمرجعية الصالحة،

وقد تميزت هذه المرحلة الجديدة من خط الشهادة، في نظر الصدر، بأفتراق خط الخلافة عن الخط الاول، بعد أن كانا مجتمعين في النبي والامام، وذلك لان أجتتماع الخطين لا يصح أسلامياً إلا في وجود شخص معصوم، له القدرة على تفعيل الخطين معاً، بحسب السيد الشهيد، وعند خلو الساحة من شخص المعصوم فلا يمكن لشخص أن يمارس الخطين معاً، ولذلك فأعباء خط الشهادة . حصراً . تتحمل مسؤوليتها المرجعية الصالحة، بوصف الاخيرة أمتداد للنبوّة والامامة<sup>(١)</sup>، وهذه المسؤولية تفرض :

أولاً : أن يحافظ المرجع على الشريعة والرسالة ويرد عنها كيد الكائدين وشبهات الكافرين والفاستين.

ثانياً : أن يكون هذا المرجع في بيان أحكام الإسلام ومفاهيمه مجتهداً، ويكون اجتهاده هو المقياس الموضوعي للأمة من الناحية الإسلامية، وتمتد مرجعيته في هذا المجال إلى تحديد الطابع الإسلامي لا للعناصر الثابتة من التشريع في المجتمع الإسلامي فقط ، بل للعناصر المتحركة الزمنية أيضاً، باعتباره هو الممثل الأعلى للإيديولوجية الإسلامية .

ثالثاً : أن يكون مشرفاً ورقيباً على الأمة، وتفرض هذه الرقابة عليه أن يتدخل لإعادة الأمور إلى نصابها إذا انحرفت عن طريقها الصحيح إسلامياً تزعزعت المبادئ العامة لخلافة الإنسان على الأرض<sup>(٢)</sup>.

وتجدر الاشارة الى ان الشهيد الصدر قد لخص دور المرجعية الصالحة في بحثه المعنون (أطروحة المرجعية الصالحة) بخمس نقاط :

١. نشر أحكام الاسلام بين المسلمين والعمل على تربيتهم دينياً للالتزام بتلك الاحكام .

٢. أيجاد تيار فكري واسع النطاق في الامة يعي المفاهيم الاسلامية، كما في المفهوم الاساسي الذي يؤكد بأن الاسلام مفهوم كامل شامل لكل جوانب الحياة.

٣. تبني الحاجات الفكرية الاسلامية التي يتطلبها الحراك الاسلامي والعمل على اشباعها عبر إيجاد البحوث الاسلامية الكافية في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية، وأجراء المقارنات الفكرية بين الاسلام وبقية الايديولوجيات، وتوسيع نطاق الفقه بجعله قادر على رفد كل مجالات الحياة بالتشريع، وتصعيد امكانات المؤسسة الحوزوية الى مستوى تلك المهام الكبيرة .

٤. القيمومية على العمل الاسلامي، والاشراف على النتاج الفكري للعاملين في مختلف أنحاء العالم، ودعم ما هو حق، وتصحيح الاخطاء.

(١) ينظر، المصدر السابق، الاسلام يقود الحياة، ص ١٥٩

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٠

٥. اعطاء مواقع العالمية، من المرجع والى أدنى درجات العلماء، صفة قيادة الامة، بتبني الاولى لمصالح الاخيرة، والاهتمام بقضايا المجتمع، والاحتضان للعاملين في سبيل الاسلام<sup>(١)</sup>

### ثانيا: النظرة الشاملة لحياة الائمة

النظرة الشمولية التي تميز بها الصدر في بحوثه المتنوعة لكل جانب من جوانب الاسلام، كما في نتاجه الثر في الجانب الفقهي، والتي نقلت الفقه أنتقالاً يشهد بها المتخصصين قبل غيرهم ، في أن الصدر قد قفز بالعقل الفقهي من وهده الجزيئية الضيقة، المهمومة بالتفاصيل الصغيرة، الى العقل النظري الكلي والشامل، كما في نظريته الاقتصادية المعروفة في كتاب ( اقتصادنا)، وخرج برؤية فلسفية إسلامية، عجز المفكرون الاسلاميون عن مجارته فيها الى الان، والشاهد على ذلك كتابيه (فلسفتنا) و (الاسس المنطقية للاستقراء)، وكذلك هو الحال مع جانب التفسير ونظريته اللامعة في محاضراته التي ظهرت على شكل كتاب أطلق عليه أسم (المدرسة القرآنية)، الذي سطر فيه نظريته في التفسير الموضوعي قبالة التفسير التجزيئي الذي شغل المفسرون قرونا عديدة، ولا يختلف الحال هنا في تاريخ الائمة (ع) ونظرته الثاقبة لحياتهم وأدوارهم، بعد أن هيمنت على هذا التاريخ وجهات نظر مبعثرة ومدوخة، لم تستطع الامساك بهدفهم الالهم، ولا فلسفة أدوارهم المتعددة، فجاء صوت الصدر هادراً، مفصلاً عن عبقرية عقل صاحبه ليقول: (الاتجاه الذي أريد ان أتحدث اليكم عنه هو الاتجاه الذي يتناول حياة كل إمام ويدرس تاريخه على أساس النظرة الكلية بدلاً من النظرة التجزيئية. أي ينظر إلى الائمة ككل مترابط ويدرس هذا الكل ويكتشف ملامحه العامة، وأهدافه المشتركة، ومزاجه الأصيل، ويفهم الترابط بين خطواته، وبالتالي الدور الذي مارسه الائمة جميعاً في الحياة الإسلامية)<sup>(٢)</sup>.

وفي عقيدة الصدر، أن وجود الدور المشترك الذي مارسه الائمة جميعاً، ليس افتراض يُبحث عن مبرراته التاريخية والمنطقية، إنما هو ما تفرضه فكرة الامامة بالتحديد، النابعة من صميم العقيدة الاسلامية في النهاية، وذلك لان الامامة ببساطة، بمسؤوليتها وشروطها، هي واحدة في جميع الائمة، وبذلك يجب أن تتعكس في سلوك الائمة بانعكاس واحد، مهما كان اختلاف الشروط الموضوعية والظروف والملابسات التاريخية، فيجب (أن يشكل الائمة مجموعهم وحدة مترابطة الاجزاء يواصل كل جزء في تلك الوحدة دور الجزء الاخر ويكمله)<sup>(٣)</sup>.

وقد فضل الصدر دراسة الائمة بنظرة كلية، لان هذه الطريقة في الدراسة ستعطي نتائج أضخم، بالمقارنة مع دراسة حياتهم أساس النظرة التجزيئية القديمة، هذه الاخيرة التي تدعو الى دراسة حياة كل أمام دراسة مستقلة، لا علاقة لها بحياة الامام السابق أو التالي، فحينما نعرف أن الامام علي (ع) جمع الصحابة في خلافته، وستشهدهم على نصوص الامامة، وان الامام الحسين قام بنفس الفعل، في عهد معاوية، مع ما تبقى من الصحابة والتابعين، وان الامام الباقر قام بنفس الفعل، فيمكننا أن نلاحظ أن أفعال الائمة الثلاث مع مجابليهم

(١) ينظر الصدر، محمد باقر، (١٤٢٨)، ومضات مجموعة من مقالات ومحاضرات ووثائق، شريعت - قم، ص ٦٢

(٢) الصدر، محمد باقر، (١٤٣٣-٢٠١٢) بحوث إسلامية ومواضيع أخرى، ط، بضعة الرسول بغداد - العراق، ص ٥١-٥٢

(٣) المصدر نفسه ص ٥٣

في عدة عصور، أما تشي بتخطيط مترابط، يستهدف الفضح والتشهير لكل المؤامرات التي تريد إخفاء وتحريف الرسالة، التي كانت تدعو الى التمسك بقيادة أهل البيت للامة، من جهة، كما تشي، من جهة أخرى، بالتخطيط المسبق من قبل تلك الرسالة لحماية نفسها من الانحراف، عبر التمسك بالقيادة المعصومة، وفضح كل القيادات الزائفة التي تحكمت بمصير الاسلام والمسلمين.

وينبه الصدر، الى أن تحديد الدور المشترك للائمة ككل، يتطلب البحث عن الاستراتيجيات التي اتبعتها الائمة، والمواقف العامة التي وقفها الائمة حيال انحراف التجربة التي تم فيها استبعادهم عن خط الخلافة وخط الشهادة، الذي أوضحناه سابقاً، ولكن هذا لا يعني بحال من الاحوال النظر الى أدوار الائمة على أنها أدوار سلبية، كما يحلو للبعض أن ينظر اليهم كقادة أقصوا عن الحكم، فرضوا بذلك وذاقوا بسبه ألوان الاضطهاد والحرمان. بل يجب دراسة حياتهم، وفقاً للنظرية الكلية ( لنتبين إيجابيتهم الرسالية على طول الخط ودورهم المشترك الفعال في حماية العقيدة.. . . . . ) وبكلمة مختصرة كان الائمة يحافظون على المقياس العقائدي والرسالي في المجتمع الاسلامي ويحرصون على أن لا يهبط إلى درجة تشكل خطراً ماحقاً وهذا يعني ممارستهم جميعاً دوراً إيجابياً فعالاً في حماية العقيدة وتبني مصالح الرسالة والامة(١).

ومن الامثلة التي يسوقها الصدر على هذه الايجابية:

. تمثل بأيقاف الحاكم عن مزيد من الانحراف، كما في رد الامام علي على عمر، حينما أعتلى الاخير المنبر وتساءل عن ردة فعل المسلمين، اذا ما أجبرهم على ترك ما يعرفون الى فعل ما ينكرون، فجاء الرد قاصفاً من علي (ع): أذن لقومناك بسيوفنا.

. وتمثل بالرد المسلح والشهادة، لكشف زيف الزعامة المنحرفة وإيقاف مخطتها كما في موقف الحسين (ع) من يزيد.

. وتمثل بمواجهة المخاطر التي تهدد الدولة الاسلامية ولا تستطيع الزعامات الزائفة الرد عليها، كما في حادثة كتاب ملك الروم الذي أملاً الامام زين العابدين كتابا على عبد الملك بن مروان بعد أن عجز عن أجابته، فحفظ الامام بهذا الكتاب للدولة كرامتها وللامة هيبتها.

. وتمثل في أسدى النصيحة من قبل الامام الباقر(ع) الى هشام بوضع خطة للاستقلال النقدي رداً على التحدي الذي واجهته الدولة الاسلامية من الروم.

. وتمثلت إيجابية الائمة بالسلبية التي تعاطى بها مع الزعامات المنحرفة اذا تطلب الامر ذلك، كما في موقف الامام الكاظم(ع) وهو في السجن، أمام رسول الخليفة، الذي نقل له اعتذار الثاني وأمره بأطلاق سراحه مقابل زيارة الامام للخليفة، فرفض الامام ذلك، حتى لا يفهم ان الامام يبارك للطغمة الحاكمة بوصف حكمها تطبيق منحرف عن الرسالة. فكانت تلك الصيغة السلبية اعظم عمل إيجابي من الامام لحماية الاسلام.

(١) المصدر نفسه، ص ٥٥

. وتمثل الدور الايجابي للائمة في محاربة التيارات الفكرية التي تبث الشبهات ضد الاسلام، والعمل على وأدائها في بداية تشكلها، من خلال الرؤية الثاقبة للامام التي تحيط بالواقع، عبر مجسات التحسس التي تجعل الامام يدرك بداية الشبهات الخطرة، بتقدير مضاعفاتها، وكيفية التخطيط للقضاء عليها في مهدها، كما في موقف الامام العسكري الذي كان يعيش في المدينة، من مشروع كتاب متناقضات القران، الذي كان يصنفه الكندي وهو في العراق، فأصل به الامام عبر بعض أصحابه، ونجح في أقناعه بخطأ فكرته.

. وتمثلت ايجابية الائمة بشكلها الجلي والمهم في الاشراف المباشر لهم (ع) على الكتلة الشيعية المتنامية باطراد، عبر تصعيد درجة اخلاصها، وزيادة وعيها، لتبني منهم جيشاً عقائدياً واعياً، كما في قصة ابي بصير الذي يدخل التنور بأمر الامام ودون نقاش.

وقد سرد الصدر مجموعة من الادلة على النجاح المنقطع النظير للائمة (ع)، في هذه الادوار الايجابية التي مارسوها في الحياة الاسلامية، فولدت لهم الزعامة الجماهيرية، إضافة الى زعامته التكوينية والتشريعية الالهيتين، ومن هذه الادلة:

. مطالبة الثوار بتتصيب الامام علي لمنصب الخلافة بدل عثمان الذي قضاوا عليه.

. ثقة الامام موسى بن جعفر من زعامته للجماهير عندما قال لهارون اللارشيدي: انت أمام الاجسام وانا أمام القلوب.

. عبد الله بن الحسن حين أراد أن يأخذ البيعة لأبنة محمد، قال للإمام الصادق (ع): (وأعلم فديتك أنك إذا أجبنتي لم يختلف عني أحد من أصحابك ولم يختلف علي علي أثنان من قريش ولا غيرهم) وهذا يدل على معرفة القائل بالشعبية التي يحظى بها الامام في صفوف الامة نتيجة دوره الايجابي .

. حادثة الحج الشهيرة التي شقت فيها الحجاج الطريق للإمام زين العابدين (ع) حينما أراد إستلام الحجر، فأفسحوا الطريق احتراماً له، بينما لم تعبأ تلك الحشود بقدوم الخليفة هشام، فأنشد الفرزدق قصيدته المعروفة.

. حادثة الهجوم الشعبي الشرس الذي تعرض له المأمون في قصره، بسبب أعضابه للإمام الرضا، ولجوء الاول الى الامام للاحتماء به من غضب الجماهير. الا يدل أن زعامة الامام كانت أوسع من زعامة الخليفة؟.

. وأخيراً العلاقة المأزومة دوماً، بين حكام الزور وأئمة أهل البيت، فتلك العلاقة كانت قائمة على الخوف الشديد من حراك الائمة وأوارهم الايجابية في الحياة الاسلامية، مما دعا الاخيرين الى تطبيق الائمة بحصار مستمر، وضرب رقابة محكمة عليهم، لفصل أهل البيت عن قواعدهم الشعبية، ومن ثم التآمر على قتلهم بطرق مختلفة، فما السبب الذي يدعو الحكام الدهاة، والذين كانوا يسعون الى الهدوء دائماً، لأجل التمتع بملذاتهم، في حين ان مؤامرات قتل الائمة كانت تتسبب في تأليب الجماهير ضدهم وتكفهم أثماناً باهضة، فما الداعي الى

عمليات القتل والتشريد والسجن والنفي هذه؟؟ أم أن كل تلك الاجراءات كانت بسبب رعب الحكام الظالمين من دور الائمة الايجابي في الامة (١) .

ويطرح السيد الشهيد هنا، سؤال نابه . كعادته . حول هذه النماذج من الايجابية، التي تبناها الائمة في زعامتهم، وهذه المظاهر الشعبية من التفاعل والالتفاف للامة حول تلك الزعامة، فيتساءل: لماذا لم تصل الايجابية عند الائمة الى العمل على الامساك بزمام الحكم وعودة خطي الخلافة والشهادة اليهم، بعد طرد الحكام المنحرفين الذين استحوذوا ظلماً على الخطين؟ فيجيب الصدر:

(أن الفكرة الأساسية في الجواب المستخلصة من نصوص وأحاديث عديدة أن الأئمة لم يكونوا يرون الظهور بالسيف والانتصار المسلح آنياً كافياً لإقامة دعائم الحكم الصالح على يد الإمام، إن إقامة هذا الحكم وترسيخه لا يتوقف في نظرهم على مجرد تهيئة حملة عسكرية ، بل يتوقف قبل ذلك على إعداد جيش عقائدي يؤمن بالإمام وعصمته أيماناً مطلقاً ويعي أهدافه الكبيرة ويدعم تخطيطه في مجال الحكم ويحرس ما يحققه للأمة من مكاسب)(٢)

ومما يستحق الذكر في هذا السياق، أن السيد الشهيد قد قسم حياة الائمة الى ثلاثة أدوار واضحة نختصرها بما يلي:

الدور الاول: هو الدور الذي يبدأ بأمر المؤمنين، وينتهي بالإمام زين العابدين، وقد تركزت فيه جهود أدوار هؤلاء الائمة على تحصين الاسلام ورسالته الخالدة ضد صدمة الانحراف المدوية التي عقبها وفاة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وسلم) بالحفاظ على شريعة الاسلام وأن فقد المجتمع دستوره ودولته الالهية. وكان من أبرز ملامح هذا الدور هو أراقة الدم الزكي لسيد الشهداء الحسين(ع) واهل بيته من قبل السفاكين في يوم عاشوراء.

الدور الثاني : وهو الدور الذي يبدأ بالإمام الباقر وينتهي بالإمام موسى بن جعفر، وقد توجهت جهودهم بإعطاء التشيع الاطار التفصيلي الذي يميزه، بوصف الشيعة هم الفرقة الناجية المؤمنة، التي يقع على عاتقها المحافظة على الاسلام المحمدي الاصيل بشريعته وأحكامه وفهمه القراني، لا بوصفهم مجرد فرقة مذهبية ناجية بحسب الروايات، بل بوصفها . الفرقة . كتلة عقائدية لها طريقتها الخاصة بفهم الاسلام، وتلك الطريقة هي التي يجب أن تقود المجتمع الاسلامي كله.

(١) ينظر المصدر السابق، ص ٥٥-٥٩

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٠

الدور الثالث: ويبدأ هذا الدور من الامام الرضا، ولا ينتهي عند الامام الحسن العسكري، وقد اتسعت في هذه الفترة القواعد الشعبية بشكل ملحوظ، حتى شكلت خطراً سياسياً على مناصب الحكام المنحرفين، وأصبحت الشيعة من الكثرة والنفوذ، ما يجعلها أقرب لاستلام زمام الحكم.<sup>(١)</sup>

## المبحث الثاني : الظروف الاجتماعية والسياسية ليوم الغدير

### اولاً: الظروف الموضوعية

في معرض حديث الصدر لبحثه الموسوم ب( نشأة الشيعة والتشيع) والمتمحور حول سؤالين مركزيين هما ( كيف ولد التشيع) و (كيف ولدت الشيعة) استنتج الصدر استنتاجات عقلية منطقية مهمة، تصب في ذات مصب موضوع بحثنا، ومنها الاهمية القصوى لمنصب الامامة، والمهام التي أريد لها ان تُتأط بهذا المنصب الالهي، والظروف الموضوعية التاريخية، والغيبية الربانية التي احاطت بيوم الغدير بوصفه الاعلان الرسمي لانطلاق تفعيل موقع الامامة ..الى غيرها من النتائج التي سنتناولها.

وقد أعتبر الصدر ان أطروحة التشيع هي نتيجة حتمية من نتائج الاسلام المحمدي، تفرضها ضرورات المحافظة على نمو الدعوة الاسلامية نمو صحيحا وسليم، وقد جاءت مزودة باستراتيجيات بديلة، في حال تعرضها للمنعطفات الكثيرة والحاسمة، التي ستمر بها الدعوة في طريقها الشاق والطويل مستقبلا، وحيث أن وجود القائد الرباني هو أحد أهم حصون المحافظة عليها، فسيتعرض الاسلام حتما لخطر التحريف والتزييف في حال دنو أجل قائد الدعوة الانبي المتمثل بالرسول (صلى الله عليه وسلم) من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الرسول كان يقود دعوة سماوية هدفها التغيير الجذري والحاسم للفرد والمجتمع في منظومته المفاهيمية والاخلاقية والعرفية، ( فكان على الدعوة التي يمارسها النبي أن تبدأ بإنسان الجاهلية فتتسئه إنشاء جديداً، وتجعل منه الانسان الاسلامي، الذي يحمل النور الجديد الى العالم، وتجتث منه كل جذور الجاهلية ورواسبها. وقد سار القائد الاعظم (صلى الله عليه وسلم) بعملية التغيير خطوات مدهشة، في برهة قصيرة، وكان على العملية التغييرية أن تواصل طريقها الطويل حتى بعد وفاة النبي(صلى الله عليه وسلم) وكان النبي يدرك منذ فترة قبل وفاته، أنَّ أجله قد دنا، وأعلن ذلك بوضوح في (حجة الوداع)<sup>(٢)</sup>

وعلى ضوء ما سبق فقد طرح السيد الشهيد ثلاثة احتمالات أو طرق منطقية، حول مستقبل الدعوة الاسلامية كان بوسع الرسول وإمكانه أن يسير بأحدها وهي:

### ١. الاحتمال الاول: اتخاذ موقف السلبية والاهمال لمستقبل الدعوة

(١) ينظر، الصدر، أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الاسلامية، مصدر سابق ص ٣٦١-٣٦٣  
(٢) الصدر، محمد باقر، بدون تاريخ، نشأة التشيع والشيعة، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الجبار شرارة الفقرة (٢١-).

ويفترض هذا الاحتمال اكتفاء الرسول(صلى الله عليه وسلم) بقيادة الدعوة والاهتمام بها في حياته، وترك مستقبلها للصدفة او للظروف التاريخية، وقد رفض الصدر هذا الاحتمال، لكون هذا الطريق لا ينسجم مع شخصية النبي المرسل (صلى الله عليه وسلم) لأمرين كلاهما لا ينطبقان عليه:

أ. الامر الاول: الاعتماد على الامة في تحديد مستقبل الدعوة لقدرتها على حمايتها وضمان عدم انحرافها، والصدر هنا ينبه الى ثلاثة مخاطر، محتملة الورود جدا، لابد ان يكون التخطيط الالهي الذي يطبقه الرسول قد التفت اليهما:

**الخطر الاول :** هو خطر الفعل الارتجالي الذي لا يكون وفق مخطط مدروس، في حال الصدمة العنيفة يفقد النبي(صلى الله عليه وسلم)، خصوصا وان الامة تواجه هذه الصدمة (فقد القائد) لأول مرة، وتحت ضغط سرعة الاجراء الانبي، الذي يتطلبه اخطر موقف من مواقف الدعوة، فلا يضمن نوع الاختيار للقائد أمام سرعة التحرك، وهول الصدمة، وشدة الاضطراب، والذي ادى فعلا بأحد الصحابة المعروفين . بسبب فعل الصدمة والاضطراب . الى القول " أن النبي لم ولن يموت" .

**الخطر الثاني:** هو خطر أنعدم الوعي الاسلامي أو عدم اكتمال الفهم للرسالة الاسلامية من قبل الاعم الاغلب من الصحابة، الذين لا يزالون يعانون من بقايا الرواسب الجاهلية، ومنها ما كان يعانیه المجتمع في حياة الرسول من انقسام بين مهاجرين وأنصار، وقريش وسائر العرب أو مكيين ومدنيين. فهل يُضمن من أناس ليس لديهم الوعي والاخلاص اختيار قائد ينسجم في فكره وسياسته مع التخطيط الالهي، الذي اراد لهذه الدعوة استمرار النمو والخلود دون انحراف او تزييف.

**الخطر الثالث:** المتمثل بخطر وجود الطابور الخامس . حسب ما يعبرون في الادبيات السياسية . وهم الفئة التي اطلق عليها القران (المنافقين)، إضافة الى الجماعة التي أطلق عليها الرسول لقب (الطلاقاء) والمجاميع التي أرتدت بعد وفاة الرسول ( صلى الله عليه واله) فهل ممكن أن يخفى على الرسول خطر النشاط التخريبي الذي يمكن ان تمارسه هذه الجماعات في لحظة الفراغ القيادي.

وطرح الصدر سؤالاً بديهيًا، وهو يذكر بموقف الخليفين (أبو بكر) و(عمر) في نهايات حياتهم عندما تدخل الاول بترشيح الثاني، وعندما أوصى الاخير الى ستة من الصحابة، فهل كان الاول والثاني أكثر حرصاً على الدعوة من الرسول(صلى الله عليه وسلم)؟ ام أنهم أكثر واعيا منه، في أدراك مخاطر هذا السكوت والتعاطي السلبي، بل ( فمن البديهي أذن أن يكون رائد الدعوة ونبيها أكثر شعورا بخطر السلبية، وأكبر أدراك، وأعمق فهما لطبيعة الموقف ومتطلبات العمل التغييرى في أمة حديثة عهد بالجاهلية)<sup>(١)</sup>

ب . الامر الثاني: من بواعث السلبية والاهمال، هو النظرة النفعية الانية: حيث يفسر هذا الامر سلبية القائد أتجاه مستقبل ومصير دعوته، فلا يعمل على تحصينها ضد الاخطار التي يحتمل أن تواجهها بعد وفاته،

(١) مصدر سابق: الفقرة (٢٧-٢٨)

كما هو حريصا عليها في حياته، وهذا ما لا ينطبق ولا يصدق على الرسول (صلى الله عليه وسلم)، حتى لو تعاملنا معه كأى قائد لرسالة من الرسائل الاخرى الدنيوية أو الدينية، وبغض النظر عن كونه نبيا مرتبط بالسماء في كل سلوكياته، بحسب افتراض الصدر .

ولكن ما يقطع الطريق على هذا الفرض، الذي يشهد بأن مواقف الرسول في أواخر حياته، وإبان مرضه الأخير، وهو على فراش الموت، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يلح ولآخر لحظة في حياته على تجهيز وأرسال جيش (أسامة)، وهنا يقف الصدر متسائلا ( فأذا كان اهتمام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقضية من قضايا الدعوة العسكرية، يبلغ الى هذه الدرجة من القلق أتجاهها، وهو وجود بنفسه على فراش الموت، ولا يمنعه علمه بأنه سيموت قبل أن يقطف ثمار تلك المعركة، عن تبنيه لها، وأن تكون همه الشاغل وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، فكيف يمكن أن نتصور ان النبي لا يعيش هموم مستقبل الدعوة، ولا يخطط لسلامتها بعد وفاته (صلى الله عليه وسلم) من الاخطار المرتقبة؟! <sup>(١)</sup> وفي تقدير الصدر فأن دليل حراك الرسول هذا، في لحظات حياته الأخيرة، لاينفي أمر النظرة النفعية فحسب، بل أنه ينفي أمر السلبية والاهمال برمته، هذا اذا ما أضفنا اليه الحادثة الشهيرة في تاريخ المسلمين، التي أجمع صحاح المسلمين . سنة وشيعة . على تناقلها وصحتها التي طلب فيها الرسول أحضار كتف ودواة ليدون لهم كتاب لن يضلوا بعده، الا أن الشغب الذي قاده أحد الحاضرين منع الرسول من تدوين ذلك الدليل الحاسم، فهذه الحادثة أنما دلت وبكل وضوح، عند الصدر، على ان الرسول كان مهموم بالحفاظ على الدعوة، وحمائيتها من اخطار الانحراف أو الزيغ أو عبث الانتهازين، في حياة النبي وبعد مماته (صلى الله عليه وسلم) <sup>(٢)</sup>

## ٢. الاحتمال الثاني: اتخاذ موقف الايجابية متمثلا بنظام الشورى

الاحتمال أو الطريق الاخر الذي أحتمله الصدر، هو أن يكون النبي (صلى الله عليه وسلم) قد خطط فعلا لمستقبل الدعوة بعد وفاته، بجعل الامة هي القيم والقائد الذي يقرر من الاصلاح لقيادة التجربة الاسلامية بعد رحيل الرسول (صلى الله عليه وسلم)، عبر نظام الشورى ( في جيلها العقائدي الاول الذي يضم مجموعة المهاجرين والانصار، فهذا الجيل الممثل للامة هو الذي سيكون قاعدة للحكم، ومحوراً لقيادة الدعوة في خط نموها) <sup>(٣)</sup> وقد ناقش السيد الشهيد هذا الاحتمال في عدة نقاط :

### ١. النقطة الاولى:

يفترض الصدر أن من البديهيات تبني خيار نظام الشورى، ووضعه موضع التطبيق، هو أن يقوم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعملية تنقيف للامة أو للصحابة المقربين منه . على أقل تقدير. على هذا النظام حيث يُفترض ( أن يقوم الرسول (صلى الله عليه وسلم) القائد، بعملية توعية للامة والمداعاة على نظام الشورى،

(١) المصدر نفسه الفقرة (٢٩)

(٢) ينظر المصدر نفسه الفقرة (٣٠)

(٣) مصدر سابق، فقرة (٣١).

وحدوده وتفصيله، وأعطائه طابع دينيا مقدساً، وأعداد المجتمع الاسلامي أعداداً فكرياً وروحياً لتقبل هذا النظام<sup>(١)</sup> وحيث ان المجتمع الذي كان يحكمه الرسول (صلى الله عليه وسلم). وهو أدري بتوجهاته الاجتماعية والسياسية. مجتمع تتحكم فيه الزعمات القبلية والعشائرية وعامل الوراثة والقوة والثروة، فيتوجب على النبي أذن أمام هذا الواقع الموضوعي، أن يمارس عملية توعوية للنظام الذي اختاره، مسخراً فيها كل أدواته الشرعية والمفاهيمية الفكرية، لترسيخ قواعد هذا النظام في وعي الامة قبل رحيله، ولكن هذا ما لم يحدث، ولو كان حدث لأنعكس وتجسد . طبقاً لاستقراء الصدر. في مجموعة مهمة من مرويات أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) من جهة، أو لترجم على شكل مواقف عملية من قبل الامة أو مجابلي الرسول (صلى الله عليه وسلم) منها، نترجم الوعي المغروس في ذهنها، على نظام الشورى المحتمل، من جهة أخرى. وبالنظر الى بنى المجتمع الاسلامي، وتوجهاته واتجاهاته السياسية والعقائدية، فان ذلك المجتمع الذي عاصر الرسول، وما بعده بفترة ليست بقليلة، ينقسم، وفقاً للحفريات الصدر، الى اتجاهين؛

**الاتجاه الاول:** الذي تمثله الجماعة التي تؤمن بالوصاية والامامة لعلي، ووفقاً لهذا الايمان فمن الطبيعي ان يكونوا، بالضد من فكرة نظام الشورى.

**والاتجاه الثاني:** وهو الاتجاه الذي لم يؤمن بالشورى طبقاً لممارسته الفعلية بعد حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، متمثلة بالذهنية التي سادت في منطقتي الجناحين المتنازعين من المهاجرين والانصار، أعني منطقتي القبليّة العشائرية للجناح الاول، والدعوة الى اختيار اميرين أحدهما من المهاجرين والآخر من الانصار، من قبل جناح الانصار، إضافة الى الطريقة التي مارسها الخليفة الاول، بإصدار امره الى عثمان لكتابة عهد بتصيب(عمر) الخليفة الثاني، وقيام هذا الاخير بأصدر مرسوم يتضمن الية لترشيح واحد من الست الذين اختارهم، وأمر الناس بإطاعة المرشح منهم، وبذلك يتبين أن انتقال السلطة . في مراتها الثلاث . لم يكن يتم وفق نظام سياسي محدد، بل وفق أمزجة وكيفيات، هي التي تتحكم بطريقة انتقال السلطة، كما يتبدى لنا بقطع لا يقبل الشك، أن الفاعلين السياسيين لتلك المراحل من عمر الدعوة لم يكونوا يفكرون بذهنية الشورى، بل لم يكن لهم تصور واضح لذلك النظام السياسي، ولهذا فقد تسائل الصدر . مستكراً وليس مستقهماً . هل يعقل أن يكون الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد وضع نظام للحكم، وحدده تشريعياً ومفاهيمياً، دون أن يمارس عملية تثقيفية للمسلمين عليه، أو أن يكون مارس هذه العملية التوعوية لغرض تسلمهم القيادة من بعده حسب نظام الشورى ولا نجد هذه الممارسة حاضرة عملياً وتطبيقياً لدى المهاجرين والانصار؟<sup>٢</sup>

وبناءً على ما سبق، وما سيأتي، يرى الصدر أن نظام الشورى لم يطرحه النبي (صلى الله عليه وسلم) كنظام حكم يتم بموجبه انتقال السلطة بين المسلمين، وقد أوجز اسباب هذا النفي بالتالي:

(١) المصدر نفسه، فقرة (٣٢).

(٢) ينظر المصدر نفسه، الفقرة (٣٨-٣٩)

( أولاً: إن نظام الشورى كان نظاماً جديداً بطبيعته على تلك البيئة التي لم تكن قد مارست قبل النبوة، أي نظاماً مكتملاً للحكم، فكان لا بد من توعية مكثفة ومركزة عليه كما أوضحنا ذلك.

ثانياً: إن الشورى كفكره مفهوم غائم لا يكفي طرحه هكذا، لإمكان وضعه موضع التنفيذ، ما لم تشرح تفاصيله وموازينه ومقاييس التفضيل عند اختلاف الشورى، وهل تقوم هذه المقاييس على أساس العدد والكم، أو على أساس الكيف والخبرة، إلى غير ذلك مما يحدد للفكرة معالمها ويجعلها صالحة للتطبيق فور وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم).

ثالثاً: إن الشورى تعبر في الحقيقة عن ممارسة للأمة . بشكل أو آخر. للسلطة عن طريق التشاور وتقرير مصير الحكم، فهي مسؤولية تتعلق بعدد كبير من الناس هم كل الذين تشملهم الشورى، وهذا يعني أنها لو كانت حكماً شرعياً يجب وضعه موضع التنفيذ، عقيب وفاة النبي (ص)، لكان لا بد من طرحه على أكبر عدد من أولئك الناس، لأن موقفهم من الشورى إيجابي، وكل منهم يتحمل قسطاً من المسؤولية<sup>(١)</sup>.

## ٢. النقطة الثانية

يخلص الصدر الى حقيقة مفادها؛ ان الامة التي عاصرت الرسول لم يكن لديها ما يكفي من الوعي، لا برسالتها السماوية، ولا بالظروف الاجتماعية والسياسية المحيطة بها، وهذا ما يجعل الامة غير مؤهلة لتحديد مصير الرسالة، عبر اختيار القيادة الصالحة، القادرة على المحافظة على رابنية الرسالة وديمومة نموها، بما يتلائم مع متطلبات الحياة الاجتماعية والسياسية، وهنا لا يغفل الصدر الاشكال الذي يمكن أن يرد حول تعارض محدودية وعي الامة، مع ما هو معروف حول منجز النبي (صلى الله عليه وسلم)، وما حققه من نجاح في تربية الامة، وأنشأ جيل رساليا رائعاً بشهادة الجميع، فيجيب الصدر على هذا الاشكال، بعد أن يعرض تقييماً للتربية النبوية للامة، بعد ملاحظة الشروط الموضوعية التي أخذها بنظر الاعتبار والتي يمكن تلخيصها بما يأتي:

أولاً: قصر عمر التجربة التي عاشها الرسول مع أصحابه.

ثانياً: الوضع السابق للمجتمع الجاهلي، من الناحية الفكرية والروحية والعرفية والدينية والسلوكية، وما ترتب عليه من سذاجة وفراغ وعفوية، لازمت وعي الامة بعد دخولها الاسلام.

ثالثاً: الاحداث والصراعات السياسية والاجتماعية والعسكرية التي شغلت النبي طيلة حياته وخصوصاً بعد أن أصبح رئيساً لأكبر دولة في الجزيرة العربية، هذه الظروف التي ألقَتْ بظلالها على علاقته (صلى الله عليه وسلم) بالامة، لا كمرب متفرغ لأعداد تلامذته فحسب، كما هو الحال في علاقة السيد المسيح وتلامذته، بل أن موقع النبي كمربي، وكقائد عسكري، وكرئيس دولة، كل هذه المسؤوليات التي اخذت تنمو يوماً بعد يوم، كان له نوع من الأثر على علاقته (صلى الله عليه وسلم) بأمته.

(١) مصدر سابق، الفقرة (٤٠ - ٤١)

رابعاً: ما واجهته الامه من ثقافات وديانات متعدد أثرت بشكل مقلق ومثير للاضطرابات، كما هو الحال في موجة الاسرائيليات التي اجتاحت الثقافة الاسلامية في حياة الرسول وبعده .

خامساً: كان هدف الرسول(صلى الله عليه وسلم) في تلك المرحلة محدداً بإيجاد القاعدة الشعبية الصالحة، التي يفترض بها أن تلتف حول القيادة المحدد من قبل السماء، وان تتعاطى وتتفاعل معها كقيادة ناجزة، وليس للامة أن تتدخل لاختيار القيادة في هذه المرحلة وما بعدها، بسبب الفجوة العقائدية والثقافية للامة.

سادساً: أن جزء لا يستهان به من المسلمين، الذين تركهم الرسول(صلى الله عليه وسلم) يدخلون الاسلام بعد الفتح، فلم تسنح الفرصة للرسول بتربيتهم لفترة معقولة، وكان تفاعله معهم في تلك الفترة بوصفه رئيس للدولة لا مريباً<sup>(١)</sup>.

وبناء على هذا العرض الموجز للظروف الموضوعية التي حكمت علاقة الرسول بأمتة، يجيب الصدر على الاشكال السالف قائلاً (أن التربية النبوية أنتجت إنتاجاً عظيماً، وحققت تحولاً فريداً، وأنشأت جيلاً صالحاً مؤهلاً لما أستهدفه النبي من تكوين قاعدة شعبية صالحة للالتفاف حول الزعامة القائدة للتجربة الجديدة وأسنادها... غير أن هذا لا يعني . بحال من الاحوال . أنها [الامة] مهياً فعلاً لكي تتسلم هذه الزعامة، وتقود بنفسها التجربة الجديدة، لأن هذه التهيئة تتطلب درجة أكبر من الانصهار الروحي والايماي بالرسالة، وإحاطة أوسع كثيراً بأحكامها ومفاهيمها ووجهات نظرها المختلفة عن الحياة، وتطهيراً أشمل لصفوفها من المنافقين والمندسين والمؤلفة قلوبهم )<sup>٢</sup> ويختم الصدر هذه النقطة بأبداء استغرابه من أولئك الذين يروجون الى أن الرسول كان يخطط، من خلال توعية أصحابه، الى تسنمهم زمام السلطة بعد رحيله، أما هو أدعاء يتضمن في باطنه أصاق تهمة بالرسول(صلى الله عليه وسلم) من حيث يعلمون أو لا يعلمون، فكيف يمكن لأذكي قائد استراتيجي في ميدان التغيير عرفه التاريخ، ان لا يميز . وحاشاه . بين التنقيف لوعي تحتاجه القواعد الشعبية، وبين الوعي المطلوب لمستوى القيادة الفكرية والعقائدية للدعوة؟<sup>(٣)</sup> .

### ٣. النقطة الثالثة

يرى الصدر، ان ما يبرهن على أن الرسول لم يدعو الى قيام حكم اسلامي على أساس نظام الشورى، هو ما ألت اليه الامور بعد وفاته(صلى الله عليه وسلم)، فلم يمضي ربع قرن على أستلام السلطة من قبل الصحابة، حتى بدأت الاحداث تأول الى تسلل الطلقاء الى مفاصل الدولة، مستغلين القيادة الاسلامية غير الواعية، التي مهدت ودعمت هيمنتهم على مراكز الحكم، وتسارعت الاحداث لتسفر عن تغيير نظام الحكم من الشورى . المزعومة . الى ملك متوارث، يتحكم بمقدرات المسلمين، وينفق الاموال بلا حساب، ويعطل الحدود، ويعبث بالأحكام، ويقتل الابرياء. فهل ثمة دليل أكثر اقناعاً من هذا التاريخ الكارثي، الذي كان نظام حكم

( ١ ) ينظر، مصدر سابق، الفقرات ( ٥١ - ٥٤ )

( ٢ ) المصدر نفسه، الفقرات ( ٥٥ - ٥٦ )

( ٣ ) ينظر، المصدر نفسه الفقرة ( ٥٨ )

الشورى سببا أساسيا لقيامه، فهل من المعقول أن يدعوا الرسول الى هذا النظام، وهو (صلى الله عليه وسلم) النبي الذي بشر بالفتوحات العظيمة، وسقوط الامبراطورية الكسروية والقيصرية، بحكم اتصاله بالسماء؟<sup>(١)</sup>

### الخيار الثالث: الايجابية ممثلة بالاختيار والتعيين

وفقا للنقاشات العلمية والموضوعية التي أجراها الصدر علي الخيارين السابقين، وما نتج عنهما من رفض منطقي ومعقول لكلا الخيارين، وبذلك لم يبقى امامنا الا هذا الخيار الاخير المتمثل بقيام النبي (صلى الله عليه وسلم) بتهيئة واعداد . ويتوجبه السماء طبعاً. شخصية تتطبق عليها المواصفات والمؤهلات التي تتالم مع المهمة الخطيرة المراد أعداد تلك الشخصية لها، من الايمان العميق بالرسالة واندكاهه فيها، ومروراً بالمواصفات الشخصية الاستثنائية، وصولاً الى التربية الرسالية الخالصة، التي لا تشوبها او تؤثر عليها بقايا الثقافة والتربية الجاهلية. ولم يكن هنالك مرشحاً أكفاً تاريخاً، وأنسب مواصفات، وأكثر التصاقاً بالرسول (صلى الله عليه وسلم) غير الامام علي بن أبي طالب، فهو أول مسلم، وأفضل مجاهداً عرفه تاريخ الدعوة المرير، وأكثر الناس ألتصاقاً بالرسول منذ نعومة أظفاره، حتى وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ( والشواهد من حياة النبي والامام علي، على أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يعد الامام أعداداً رسالياً خاصاً، كثيرة جداً، فقد كان النبي يخصه بكثير من مفاهيم الدعوة وحقائقها، وبيدوه، بالعطاء الفكري والتنقيف إذا أستنفذ الامام أسئلته، ويختلي به الساعات الطوال في الليل والنهار، يفتح عينيه على مفاهيم الدعوة ومشاكل الطريق، ومناهج العمل الى آخر يوم من حياته الشريفة)<sup>(٢)</sup> وقد وصف علي (ع) ارتباطه بالرسول (صلى الله عليه وسلم)، ذات يوماً في خطبته القاصعة الشهيرة قائلاً (وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) بِالْقُرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمُنْزَلَةِ الْخَصِيصَةِ: وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْفُنُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيَمْسُنُنِي جَسَدَهُ، وَيُسَمِّنُنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا حَظْلَةً فِي فِعْلٍ. وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ (صلى الله عليه وسلم) مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ عِلْماً مِنْ أَخْلَاقِهِ، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ. وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بَحْرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَتْ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَخَدِيجَةَ وَأَنَا تَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ.)<sup>(٣)</sup>

ويرى الصدر أن إجراء النبي بأعداد علي لقيادة الدعوة، وفي ذات الوقت التخطيط والاعلان الرسمي عن تسليمه زمامها، هو ما تفرضه الضرورة العقلية والمنطقية، كما تحتمه ظروف تكوّن الدعوة وحاجاتها الانية والمستقبلية، التي تفرض على القائد الحريص على مستقبل دعوته، ان يجهز البديل القيادي المناسب ولذلك فقد أعد النبي (صلى الله عليه وسلم) الامام علي (ع) أعداداً خاصاً، وهذا ما يصرح به ما لا يحصى من مرويات الفريقين، فانه (صلى الله عليه وسلم) من جهة أخرى، فقد أعلن (صلى الله عليه وسلم) وبشكل رسمي، وبشواهد

(١) ينظر، المصدر نفسه الفقرات (٥٩ - ٦١)

(٢) مصدر سابق، الفقرة (٦٥)

(٣) المصدر نفسه، الفقرة (٦٧)

وروايات لاتقل عن سابقتها، لتخطيطه . والذي هو في حقيقته خطاط السماء. بترشيح علي (ع) لقيادة الدعوة الاسلامية فكراً وسياسياً ( كما نلاحظ ذلك في حديث الدار، وحديث الثقلين، وحديث المنزلة، وحديث الغدير، وعشرات النصوص النبوية الاخرى )<sup>(١)</sup>

### ثانياً: فلسفة ارتباط المرجعية الفكرية والمرجعية القيادية

طبقاً لرؤية الصدر، فإن ثمة مرجعيتين تجسدتا في شخص النبي (صلى الله عليه وسلم) أبان حياته، هما؛ المرجعية الفكرية، ومرجعية القيادة الميدانية، وقد مارس الرسول(صلى الله عليه وسلم) دوراً جوهرياً لا يضاهي، لتدشين المنظومة الفكرية للإسلام في ذهنية المسلمين ووعيمهم، وفقاً لإمكانات ومحددات هذا الوعي الثقافية والاجتماعية، كما مارس دوره القيادي البارع في العمل الاجتماعي والسياسي بوصفه رئيس للدولة

ويرى الصدر أن كلتا المرجعيتين قد جمعتا في أهل البيت عموماً، والامام علي خصوصاً، وجاءت النصوص النبوية المستفيضة لتؤكد المرجعيتين للائمة (ع) ( والمثال الرئيسي للنص النبوي على المرجعية الفكرية حديث الثقلين إذ قال رسول (صلى الله عليه وسلم) : (إني أوشك أن ادعى فاجيب، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما). والمثال الرئيسي للنص النبوي على المرجعية في العمل القيادي الاجتماعي، حديث الغدير، حيث أخرج الطبراني بسند مجمع على صحته، عن زيد بن أرقم

قال: خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بغدير خم تحت شجرات فقال:

أيها الناس يوشك أن أدعى فاجيب، واني مسؤول، وأنكم مسؤولون ، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت، وجاهدت، ونصحت فجزاك الله خيراً، فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور ؟ فقالوا: بلى نشهد بذلك قال:اللهم اشهد. ثم قال: يا أيها الناس، إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه - يعني علياً - اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه)<sup>(٢)</sup>.

وأضاف الشهيد الصدر في هامش الحديث الاخير ( وحديث الغدير مستفيض في كتب الحديث عند الشيعة والسنة معاً، وقد أحصى بعض المحققين عدد رواة الحديث من الصحابة فكانوا أكثر من مائة، وعددهم من التابعين فكانوا أكثر من ثمانين تابعياً، وعددهم من الحفاظ في القرن الثاني الهجري فكانوا قرابة ستين شخصاً من حفاظ الحديث ورجالاته، لاحظ كتاب الغدير للعلامة الاميني)

(١) المصدر نفسه، الفقرة (٦٩)

(٢) مصدر سابق، الفقرات (٨٤ - ٨٥)

وبحسب استقراء الصدر، للمرحلة التاريخية التي شهدت الرحيل المدوي للنبي الخاتم(صلى الله عليه وسلم)،وما تلاها من أحداث مفاجئة، كان أكثرها وجع وخطورة، هو انتزاع المرجعية القيادية من أهل البيت، من قبل أتجاه المسلمين الذين اعتمدوا على اجتهادهم الشخصية مقابل النص، في تحديد أخطر قضية في مسيرة الدعوة، وعلى هذا الاساس . الاجتهاد. تم اختيار الخليفة الاول، الذي تسلم السلطة على أساس معطيات مؤتمر السقيفة المحدود، والذي تشاور فيه بعض الصحابة الذين لا يمثلون إلا جزء صغير من الاتجاهات والآراء في المجتمع الاسلامي الكبير، فتسلم الثاني السلطة بناء على نص من الاول، وكذلك الثالث بناء على نص الثاني، وهكذا، فقد أصبح اصحاب هذه النصوص الاجتهادية، هي المرجعية القيادية النافذة على المسلمين، وفعلت هذه المرجعية بحكم أمسكها بزمام السلطة، فعلها في تاريخ الدعوة الى ان تسلم أبناء الطلقاء السلطة السياسية، هذا ما يتعلق بما ألت اليه الامور على صعيد المرجعية الميدانية.

أما ما يتعلق بالمرجعية الفكرية، فإن الاتجاه الموالي لأهل البيت تعامل مع مثل هذه النصوص بطريقة تعبدية، لا تقبل أي أجتهد او مرونة في هذه القضية، لان مخالفتها في رأيهم، هي مخالفة صريحة للكتاب والسنة، فتقلي القران والعترة لا ولن يفترقا، كما نص النبي المرسل (صلى الله عليه وسلم)، وهما المرجعية الفكرية المطلقة والعبارة فوق التاريخ، اي التي لا تتحدد بزمان او مكان، فإن كانت المرجعية القيادية، هي الممارسة الفعلية للسلطة من قبل الامام، والتي لا تتعدى حياة الامام، بطبيعة الحال ، فإن المرجعية الفكرية لا تتحدد بزمن او عمر أمام، مادامت هنالك حاجات تتعلق بمفاهيم الاسلام، وقيمه وأحكامه لدى المسلمين، وهي لا تُستقى الا من المرجعية الفكرية التي حددها الله(جل جلاله). ولكن الواقع على الارض، الذي أدى الى تجميد وابقاف عمل المرجعية القيادية لأهل البيت (ع)، أثر تأثيرا مباشرا على عملهم كمرجعية فكرية للمسلمين أخذت شرعيتها من النصوص الربانية، الا أنه بنتزاع المرجعية القيادية منهم، أصبح من الصعب بقاء المرجعية الفكرية بأيديهم، وفقا لمخيال الاتجاه الاجتهادي المنحرف، فبقاء المرجعية الفكرية للاتمة يعني أمكانية خلق الطرف الموضوعي الذي يمكن أن يسمح بعودة سلطة القيادة للاتمة المقصيين، وهنا حصل الانفصال والعزل الدائم ما بين المرجعية الفكرية والمرجعية الميدانية، التي كان من المفترض . بحسب التخطيط الالهي لمسيرة الدعوة . أتحادها في أمام واحد، بيد أن قوة السلطة التي أمسك بها أصحاب الرأي المقابل للنص، استطاعت أن تفرض على الوعي الجمعي الاسلامي مرجعية فكرية جديدة هي (مرجعية الصحابة ككل) بديلا معقولاً للمرجعية الربانية لأهل البيت، التي استبعدت أو أصبحت . على أعلى تقدير. جزء من مرجعية الصحابة، بوصفهم صحابة كباقي الصحابة لا غير .

ورؤية الصدر الثاقبة ترى أن هذا الاستبعاد والاقصاء لمرجعية أهل البيت، وما تلاه من فصل بين المرجعيتين، ومن ثمة استنزاع وإحلال مرجعية الصحابة التي أقرها الاجتهاد، كبديل هجين في جسد الامة الاسلامية العقائدي والفكري والاجتماعي، خلق . في هذا الجسد . ازدواجية وتناقض حاد، لا زال الاسلام والمسلمين يدفعون ثمنه باهضا من دمائهم وفرقتهم وتخلفهم .

### المبحث الثالث: سيكولوجيا الامة الممسوسة بالشك وعلاجها عند الامام علي(ع)

طبقا للكشوفات المهمة التي استخلصها الصدر من قراءته الفاحصة للتاريخ الإسلامي عموما وتاريخ الائمة خصوصا، ونحن نتحدث هنا عن كتابه الام والاساسي في هذا الموضوع، واعني به مجموعة المحاضرات التي القاها الصدر على طلبته في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، وجمعت أخيرا في كتاب ضم اكثر من اربعمائة صفحة، واطلقت عليه لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر عنوان (أئمة اهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية ) فان تعقيبات الصدر في هذا الكتاب للعصور التي مر بها الائمة، وأدوارهم المتعددة فيها ووحدة هدفهم، ليست هي الكشف الوحيد . رغم أهميته . في مجال دراسات الفكر الإسلامي عموما، والدراسات التاريخية تحديدا، وقد مثل هذا الحفر المعرفي لدى الكثير منجزا فكريا في الدراسات التاريخية لم يسبق له نظير، ولكنه لم يكن درس الصدر الأخير . اعني الدراسة الشمولية لأدوار الائمة وهدفهم الموحد . الذي قدمه الصدر على طبق من ذهب للمعنيين بتلك الدراسات من جهة، بوصفه عتبة جديدة تفتح افاقا لدراسات اعمق غورا، واغنى حقائق، لولئك الباحثين والدارسين، بل ان الكثير من الدروس التي لاتقل أهمية عن سابقتها قدمها الصدر من جهة أخرى، لكل الرساليين السائرين على درب الائمة، لما فيها من خبرة ومراس يمكن ان يكتسبها المرء بالاطلاع عليها، باعتبار ان هذه الدروس سوابق تاريخية يمكن ان تواجه كل رسالي، يقول الصدر ( في الواقع ان هذا الفهم لموقف الامام (ع) الذي أعرضه في هذه النقطة مرتبط بحقيقة مطلقة تشمل موقف الامام وموقف كل عقائدي رسالي تحيط به نفس الظروف والملابسات ويريد ان يقوم بعملية تغيير جذري حقيقي في مجتمع من المجتمعات..)(١) بل اننا نعتقد ان ثمة أشياء أخرى تحدث عنها الصدر . احتكاما الى نصوص هذا الكتاب . تتعلق بدراساته للامة التي جايلت الائمة، والظروف التاريخية التي مرت بها، وطريقة تعاطي تلك الامة مع قادتها الريانيين، وخصوصا حفياته اللامعة التي تسلط الضوء الساطع على الجانب النفسي لتلك الامة، وقد كان لتلك الدراسات النفسية، والظواهر السيكولوجية التي امسك بها الصدر، لها من الأهمية ما يوازي . ان لم يكن يفوق . دراسته المتعلقة بأدوار وهدف الائمة، مثلت هي الاخرى فتحا معرفيا لم يسبق الكشف عنه في دراسات التاريخ الإسلامي المتعلقة بعلم النفس الاجتماعي بوصف هذا العلم . كما يعبر عنه متخصصوه . فهو ( فرع من فروع علم النفس يدرس السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة كاستجابات لمثيرات اجتماعية فهو يهتم بدراسة التفاعل الاجتماعي ونتائج هذا التفاعل وهدفه هو بناء مجتمع أفضل قائم على سلوك الفرد والجماعة )<sup>(٢)</sup> وهو ( الدراسة العملية لأفكار ومشاعر وسلوكيات الافراد التي تتأثر بوجود الاخرين الفعلي أو المتخيل)<sup>(٣)</sup> دراسة علمية للإنسان ككائن اجتماعي، وهو يدرس السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة، وهدفه بناء مجتمع افضل قائم على فهم سلوك الفرد والجماعة. ويدور حول التحقق في طبيعة البشر عندما يكونوا في جماعات، ودراسة الخصائص النفسية لتلك للجماعات، والانماط السلوكية التفاعلية المجتمعية المختلفة،

(١) المصدر السابق، الصدر، أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية، ص ١٣٨

(٢) زهران ، الدكتور حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعي، الناشر عالم الكتب، ط الخامسة، ت ١٩٨٤ ص ٩- ١٠

(٣) النعيمي، د. فجر جوده، علم النفس الاجتماعي دراسة لحفايا الانسان وقوى المجتمع، مكتبة مؤمن قريش، ط الاولى العراق /

لبنان / كندا، ط ٢٠١٦، ص ٢٣

وبالأخص الأنماط السلوكية للأفراد والجماعات اثناء الاحداث والمواقف الاجتماعية المختلفة، ويعد علم النفس المرجع الأساسي لعلم النفس الاجتماعي في دراسة الاثار المترتبة على كافة الدوافع البشرية والظواهر النفسية التي ترتبط بالتفاعلات الإنسانية كالعواطف والمشاعر والاحاسيس التي يظهر تأثيرها في السلوك الفردي والاجتماعي ككل. كما لا يخفى محورية ودور علم الاجتماع المهم في توجيه الباحثين في علم النفس الاجتماعي الى أهمية دراسة سيكولوجيات وانماط الجماعات المختلفة.<sup>(١)</sup>

ونحن لا ندعي في هنا ان الصدر قد صرح حرفيا باتخاذ هذا العلم كمنهجية لدراسة تاريخ الامة التي عاصرت الائمة، ولكن ثمة قرائن أساسية اخذت بتلاييب صدورنا لنقول بتبني الصدر لعلم النفس الاجتماعي كأدوات منهجية أساسية في بحوثه التاريخية التي نتناولها، ومنها النصوص الكثيرة المتناثرة في هذا الكتاب التي سنوردها وهي تتحدث. بالمجمل عن الجانب النفسي المتمثل بالعواطف والاهواء والغرائز التي تتحكم بمواقف الجماعات التي يتكون منها المجتمع الإسلامي، من ارتبطت بالائمة سماها الصدر ب(القواعد الشعبية) تمثل الطليعة من الامة في وعيها واخلاصها للائمة (ع) وهناك الجماعات التي يمكن ان نطلق عليها جماعات ال (بين بين) المتأثرة بالمواقف والاحداث والتي لا يخلوا منها زمان ومكان، ومنهم الجماعات التي قامت بالثورة ضد الخليفة الثالث وهم يتميزون ب( طاقة حرارية) عالية وب( صبابة من الوعي) (٢) على حد تعبير الصدر، وهذه الجماعات تمثل الاعم الاغلب من الامة، وهناك الطابور الخامس المتمثل أكيدا بالمنافقين، القليلين نسبيا في اعدادهم والمؤثرين كثيرا في مواقفهم وفعالهم، وأيضا علينا ان لا ننسى الجماعات التي تقع تحت سلطة القيادة المناوئة للائمة، كما في أهل الشام أنموذجا

يتحدث الصدر عن طبيعة الموانع التي حالت دون تسلم الامام علي لمنصب الخلافة بعد رحيل النبي (ص) وبقيت هذه الموانع شغالة ومؤثرة حتى في زمن تسلمه مقاليد الحكم، ولكن الملفت هو ملاحظة الصدر عن طبيعة هذه الموانع التي تحتاج . بتعبير الصدر . ( الى دراسة مفصلة لنفسية المجتمع الإسلامي) (٣) ومن الواضح ان هذه العبارة تؤكد انتباه الصدر لضرورة وجود مثل هذه الدراسات من جهة وتشي بعزمه، او دعوته الباحثين للقيام بهذه الدراسات، من جهة أخرى. يقول الصدر في مكان آخر (لا بد وأن ندرس الذهنية العامة للمسلمين كيف كانت تفسر هذا الخلاف الموجود بين علي ومعاوية) (٤). وقد قدم الصدر ما توفر لديه من معلومات . على حد تعبيره . في هذا الصدد. ويمكن أيجاز هذه المعلومات في ثلاثة نقاط :

تتعلق الأولى بطريقة التفكير اللا إسلامي لدى الكثير من الاسلاميين، الذين اكد بانه لا يشك في عواطفهم الإسلامية التي تصل الى الاستعداد لتضحية بأنفسهم في بعض اللحظات ولكنهم لم يكن لديهم من الوعي ما يعينهم على تقبل خلافة علي للرسول بسبب من تفكيرهم السطحي الذي يستبطن رواسب جاهلية كانت تغفو في

(١) ينظر المصدر السابق، وهران ، علم النفس الاجتماعي، ص ١١- ١٢

(٢) المصدر السابق، الصدر، أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية، ص ٢٥٣

(٣) المصدر نفسه، ص ١٨١

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥٩

لا وعيهم، يقول الصدر ( هذا التفكير كان منسجما مع الوضع النفسي الذي يعيشه أكثر المسلمين كراسب جاهلي لرواسب عرفوها قبل الإسلام، ولم يستطيعوا ان يتخلوا عن ذلك تخليا تاما.. وهؤلاء المسلمون فكروا . وكان تفكيريا سطحيا . بان محمدا (ص) يريد أن يعلي مجد بني هاشم، ويعلي كيان هذه الاسرة .. فختار علي، أختار ابن عمه لأجل ان يمثل أمجاد أسرته.(<sup>١</sup>)

اما فيما يخص المانع الثاني وهو المتعلق بالمنافقين من أصحاب المطامع والحرص على الجاه، وعلاقتهم بعلي (ع)، وحيث انهم كانوا كثيرين وتكاثروا بعد فتح مكة وما تلتها من دخول قبائل كثيرة في الإسلام وما استلزمه هذا الدخول من استسلام للامر الواقع الذي (فرض زعامة النبي (ص) على العرب ولم يكن بالإمكان زحزحة هذه الزعامة)، كما أستلزم هذا الواقع الرضا بالإسلام، ولكن أي أسلام؟ أكيد انه الإسلام الهين الرخو ذو المقاسات التي تحددها أمزجتهم واهوائهم، والإسلام الذي ينسجم مع . يجيب الصدر. ( أطماعهم المشدودين لها، ومصالحهم المرتبطين بها . والتي كان من جعلتها استمرار الإسلام . الشيء الذي جمعهم ومنحهم الحلم بالاستيلاء على كنوز كسرى وقيصر)(<sup>٢</sup>) ولكن ما يقض مضاجعهم ويسفه أحلامهم هو وجود علي بعناده وصلابته وحدته، فكانت زعامة علي واسلامه تمثل خطرا حقيقيا على مصالح المنافقين ويتقاطع مع فهم المتميعين للإسلام الهين الرخو .

واما العامل الثالث: فهو العامل النفسي الخلقى المرتبط بالصالحين لا المنافقين وهو في حقيقته ناتج عن طبيعة بشرية لها علاقة بالتنافس والتحدي يرتقي في النفوس الصالحة فيكون تنافسا نحو الارتقاء والتكامل وممكن يتسافل في النفوس الصغيرة فيكون ضغائن واحقاد.

فعلي مثل تحديا مستمرا بوجوده التكويني للصادقين لا المنافقين طبقا للمنظار الصدر ( وذلك بجهاده، بصرامته، بأستبساله.. بكل هذه الأمور كان يضرب الرقم القياسي الذي لا يحلم به أي صحابي آخر .. كان يفوقهم بدرجة هائلة)(<sup>٣</sup>) ويستذكر الصدر مثلا لهذه المشاعر حيث يقول (معاوية يقول لمحمد بن ابي بكر بأن علي كان في أيام النبي (ص) كالنجم في السماء لا يطاول)(<sup>٤</sup>).

مثل هذا الفارق تحدي واستفزازا لأخرين، لم يعيشوا الرسالة واخلاقها بل كانوا يعيشون لأنفسهم وانانيتهم فكانت ردة فعلهم هو مشاعر ضخمة من العدا والكرهية لعلي.

وقد مثل سطوع نجم علي هذا، مشكلة نفسية اكثر عمقا من سابقاتها يمكن ان نطلق عليها مشكلة ( شهرة علي ) أصيب بها الوعي الجمعي للامة أبان اختيارها لعلي، ظهرت نتائج الضارة في علاقة علي بالامة وكانت سببا جذريا لكثير من الاحداث التالية.

(١) المصدر نفسه، ص ١٨١

(٢) مصدر سابق نفسه، ص ١٨٣

(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٤

(٤) المصدر نفسه، ص ١٨٥

فبعد ترشيح علي من قبل الثوار الذين انتفضوا ضد عثمان، وقد كان ترشيحهم له على اساس الرصيد والتاريخ الذي كان يتمتع به علي، طبقا لرؤية السيد الشهيد، ولكن لنا ان نسأل ما المشكلة ان ينتخب قائد على أساس تاريخه المشرق في أذهان المسلمين؟ الصدر يرى ان (المسلمون اختاروا علي لانهم كانوا بحاجة الى صحابي كبير قادر على إعادة الأمور الى نصابها اتجهوا بأنظارهم بطبيعتهم إلى صحابي كبير، فكان أن وقع اختيار المسلمين بطبيعتهم على الإمام علي (ع)؛ لأنه كان أبرز صحابي على المسرح السياسي يتمتع بما لا يتمتع به أي صحابي آخر من سوابق وفضل وشهرة . إذن فالاستجابة منذ البدء كانت استجابة عاطفية قائمة على أساس الشهرة)<sup>(١)</sup> أذن فالجماهير اختارت علي لسد حاجة انية وقتية، وليس لأسباب عقائدية في كون علي امام منصبا من السماء ومفترض الطاعة بحيث ان هذه الاستجابة العاطفية لعلي من قبل الجماهير مثلت للصدر فرقا جوهريا ليس على المستوى العقدي فحسب، بل على مستوى النتائج التاريخية التي ستظهر فيما بعد، فالصدر يفرق بين الاستجابة الواعية للقائد والاستجابة المرتكزة على أساس العواطف والحاجات المؤقتة، في ان هذه الأخيرة ستكون حشوتها الدافعة لاندفاع الجماهير في العمل أقل زمانا وأضعف صلابة من الحشوة الدافعة المبنية على أساس الوعي، فالاستجابة العاطفية في نظر الصدر (ومن الطبيعي أن تكون هذه الاستجابة استجابة ذات شوط قصير، ذات موجة قصيرة ثم تبدأ بالذوبان ، تبدأ بعد هذا بالتبع حينما تصطم بما تصطم به أعباء الجهاد من المصالح الشخصية للأفراد)<sup>(٢)</sup> ويطلق الصدر هنا هذه العبارة ذات العيار الثقيل، التي يمكن عدها حقيقة فوق تاريخية في مسيرة الجهاد للمجاهدين تصلح لكل زمان ومكان فيقول ان ( الاقتناع العاطفي هو الذي يتزحزح خلال غبار الجهاد، اما الاقتناع الواعي فهو الذي يتعمق ويترسخ خلال غبار الجهاد )<sup>(٣)</sup>. ويطيب لي هنا ان أستذكر استذكارا عابرا تصنيف الشهيد محمد صادق الصدر للجهاد في شقين الجهاد المسلح والجهاد التنقيفي الذي تنطبق شروط وحيثيات وخطورة النوع الأول على الثاني بحذافيرها، ومنها ان المجاهد بالجهاد التنقيفي كلما كان مقتنعا بأيدولوجيته أقتناعا واعيا، كلما تعمق وترسخ هذا الاقتناع خلال غبار الجهاد. لا أن يؤدي غبار السجلات الثقافية الى التنازل بل الى التنصل عن المقولات الإسلامية<sup>(٤)</sup>.

وقريبا من هذا الموضوع، هناك العديد من المفاهيم الإسلامية المتأثرة والمرتبطة بالجانب النفسي نبه عليها الشهيد محمد باقر الصدر، وأكد على التأصيل والتنظير لها على أساس الاقتناع بالمفهوم الرسالي الواعي لا على أساس المفهوم العاطفي ومنها على سبيل المثال ما أطلق عليه الصدر ب (مفهوم الإباء) الذي سيقنت من خلاله الاحكام القاسية ضد الامام الحسن، انطلاقا من فكرة ان مصافحة الأعداء تسيء لعزة المرء، بغض النظر عن أي اعتبارات رسالية ممكن تسيء للرسالة او تحقق مكسبا لها، وما نراه ان مفهوم العاطفي لإبء الضيم هو مفهوم انبثق من الثقافة الذكورية البدوية العربية المتجذرة في الوعي الشعبي للجماهير، وقد المح الصدر بعبارة

(١) المصدر نفسه، ص ٢٨٧

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٨

(٣) مصدر سابق، ص ٢٧٩

(٤) الصدر، محمد محمد صادق، موسوعة الامام المهدي ، الجزء الثاني تاريخ الغيبة الكبرى، هيئة تراث السيد الشهيد الصدر،

النجف الأشرف، ص ٤١٧، ( ٢٠١١ - ١٤٣٢ )

صريحة ان ( المفهوم العاطفي لإبائه الضيم فهو مفهوم جاهلي لايقره الإسلام) وان عزة المرء ومواقفه الرسالية لا تبتني على مصالحه الشخصية بل تفترض قبل هذا عزة رسالته ومكاسبها.

وهكذا فإن الصدر كان دائم التأكيد على حقيقة، جعلها قاعدة للعمل الرسالي، مفادها: يجب على الانسان الذي يريد السير في خط أئمة أهل البيت، ويمارس العمل الاجتماعي الفعال، يجب عليه أن يبقى في يقظة تامة، يجب عليه دائماً ان يدرس سلوكه، وخيارته ، يجب أن تكون هذه الدراسة على اساس الرسالة لا على أساس عواطفه، على أساس عقله الرسالي لا على أساس العواطف والمشاعر القلبية، فأى اعتبار عاطفي أو خلقي غير نابع من الرسالة ومفاهيمها وأسسها، يجب استبعاده.

وبالعودة الى الصدر في محاضراته في هذا الكتاب . على العموم . فقد كان مهموماً بالكشف عن الظروف الموضوعية والنفسية والتاريخية لأخطر ظاهرة مرضية أصيبت بها الامة الإسلامية في بداية عصر المرحلة الأولى لحياة الائمة، التي أصطلح عليها الصدر، في محاضرات سابقة، ب (مرحلة تفادي صدمة الانحراف) التي بدأت بعد وفاة الرسول وأستمر الى الامام الرابع(ع)، ضمن خطاطة دراسته الشاملة لحياة الائمة وفقاً لرؤيته الكلية لا التجزيئية لحياتهم (ع).

واحتكاماً للنصوص الكثيرة المنثورة في صفحات هذا الكتاب، يمكن ان نستشف من خلال هذه النصوص، ليس مركزية هذه الظاهرة الاساسية في زمن علي (ع) فحسب، بل مركزية وهيمنة الجانب النفسي والخلقي بمنظار الصدر خلال قراءته لتاريخ الائمة والامة التي عاصرتهم، فاعلم حراك الائمة وجهودهم وجهاداتهم، طبقاً لرؤية الصدر، كانت تصب في مصلحة المجتمع وتعالج امراض وانحرافات ومشاكل نفسية في وعي الامة، هذه الأخيرة التي فسر الصدر، أغلب الاحداث والمواقف التاريخية وسلوكها فيها، تفسيراً نفسياً معنوياً، ولعلي لا ابالغ اذا قلت اننا ان الصدر يحيل الكثير من جذور الظروف السياسية والاقتصادية الى عوامل نفسية، كما في نموذج كشفه عن ان (حب الذات) وما يرتبط بها من مصالح شخصية هما مدار سلوك الانسان وبالتالي مدار حركة التاريخ، وهذا ما ينسجم تماماً مع ما طرحه فلسفياً ابان صدامه المدوي مع الفلسفات المادية في كتابه ( المدرسة الإسلامية) ضمن مجلد (الإسلام يقود الحياة) حيث كتب هناك ( وحب الذات هو الغريزة التي لا نعرف غريزة أعم منها وأقدم ... فالواقع الطبيعي الحقيقي أذن الذي يكمن وراء الحياة الإنسانية كلها ويوجهها بأصبعه هو حب الذات الذي نعبر عنه بحب اللذة وبغض الألم)<sup>(١)</sup>.

وسنرى الان اثبات كل هذا من خلال قرأتنا لقراءة الصدر لتاريخ الشعب العراقي الذي عاصر المرحلة الأولى من مراحل حياة الائمة (ع)، ونضع (تاريخ شعب العراق) بين قوسين كبيرين لان الصدر الذي اتخذ من العراقيين عينة الامة الشكاكة دوماً في قادتتها، التي اجري دراسته التاريخية عليها. وبناء على هذا فقد سرد القصة الكاملة، لشعب مضحي في بداية عصر الامام (علي)، تحول بسبب شكه، الى مجاميع من الخونة، في عصر امام اخر(الحسن)، حيث تبدأ القصة منذ ان نادا العراقيون . على ذمة الصدر. الذين حضروا للمدينة

(١) المصدر السابق، الصدر، الاسلام يقود الحياة، المدرسة الاسلامية، ص ٦٦

كثوار على الخليفة الثالث، نادوا . وربما كانوا أول المنادين ثم ندا بعدهم المصريون والحجازيون . بتولي علي للخلافة لان هذا الشعب . بحسب الصدر أيضا . ( شعب العراق وأبناء العراق مرتبطون روحيا وعاطفيا بالامام ) ولكنه أيضا . وهنا ممكن شياطين الجن والانس . ( لم يكن شعب العراق يعي رسالة علي وعيا حقيقيا كاملا ) ولو اني لم اومن بامامة علي وأرادته التي لاتنفك عن إرادة السماء، وامنت بالشروط التاريخية فحسب، لقلت ان واحد من أسباب نقل علي للعاصمة الإسلامية من المدينة الى الكوفة، هو رد جميل لذلك النداء الأول من الثوار، ولكن للصدر رأي اخر، تحدث عنه في معرض حديثه عن أسباب رفض علي للمساومات وانصاف الحلول مع معاوية وغيره، فالصدر يرى ان علي سواء في نقله للخلافة، او في رفضه للمساومات كانت له غايات ذات دلالات وحمولات نفسية وخلقية وتربوية للقواعد الشعبية التي أراد تشكيلها من العراقيين، الذين أراد لهم ان يكونوا الطليعة الواعية التي تعينه على محاربة الانحراف الذي أسس له وزرعه من كان قبله، في نفوس وعقول المجتمع الإسلامي، ومن هذه الغايات التي يذكرها الصدر، نذكر غايتين باختصار:

أولا : سعى الامام علي (ع) منذ بداية تسلمه السلطة الى تشكيل جيش يتأسس على العقيدة (جيش عقائدي) وكان هذا الهاجس واحد من الدوافع المهمة التي دعتة الى نقل عاصمة الدولة الاسلامية الى الكوفة، وأتخذه من هذه الاخيرة عاصمة لدولته الجديدة، وحيث أنه أراد أن يربي هذا الجيش، ويعدده أعداداً إسلامياً خالصاً وفق المنظومة الاسلامية الفكرية والروحية والنفسية والعاطفية حتى، وحيث أن جو العاصمة الاسلامية السابقة كان جواً موبوء بالمصالح الشخصية الضيقة، والمساومات السياسية الرخيصة، وأنصاف الحلول، فكان من المستحيل أن تنشأ في ذلك الجو بذور ذلك الجيش، ولا يمكن لعلي، في ذلك الجو بناء القواعد الشعبية الصالحة التي يجب أن تنتفس الكفاح النقي، والرسالية الخالصة، وهي تعيش جو المفاوضات والمساومات السياسية الدنيوية(١) (إن كان هناك حاجة حقيقية ملحة أمام الإمام علي (ع) في بناء دولته إلى قاعدة شعبية واعية يعتمد عليها في ترسيخ الأهداف على النطاق الأوسع... وهؤلاء لم يكن بالإمكان ممارسة بناء نفسي وروحي وفكري وعاطفي حقيقي لهم في جو مليء بالمساومات؛ لأنها كانت تشكل نكسة بالنسبة العملية التربوية لهذا الجيش العقائدي .. ونتيجة ذلك كان لا بد لعلي(ع) ولأجل ممارسة عملية التربية أن يترفع عن هذه المساومات والحلول الوسط لكي يستطيع أن يخلق ذلك الجو الرفيع نفسياً وفكرياً وروحياً، والذي سوف ينشأ في داخله وفي أعماقه الجيل الذي يستطيع أن يحتضن اهداف علي ويضحى في سبيلها، ويواكب هذه الاحداث في حياة الامام وبعد وفاته (٢).

النقطة الثانية : هي أن الإمام (ع) جاء لتسلم زمام الحكم في لحظة ثورة، لا في لحظة اعتيادية، ولحظة الثورة تستبطن لحظة تركيز وتعبئة وتجمع كل الطاقات العاطفية والنفسية في الأمة الإسلامية لصالح القضية الإسلامية، فكان لا بد من اغتنام هذه اللحظة بكل ما تستبطنه من هذا الزخم الهائل عاطفياً ونفسياً وفكرياً .

ولكن رغم كل مخططات علي المنبثقة عن التخطيط الإلهي لتاريخ البشرية . طبقاً لمقولة الشهيد الثاني محمد الصدر في موسوعته الرائدة (موسوعة الامام المهدي) . فلا خطوات علي الاحترازية، ولا تخطيط السماء،

(١) ينظر، المصدر السابق، الصدر، أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الاسلامية، ص ١٢١-١٣٦

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢١-١٢٢

استطاع ان يمنع بوادر ظهور مرض الشك العصي على المكافحة، فلم ينفذ نقل الخلافة، ولا تقديم أنموذج المثل الأعلى في الصلابة والايمان من ان تكون قلوب العراقيين وعقولهم بيئة لفايروس الشك العنيد، وعلى الرغم من اعتراف الصدر بالتضحيات الجسام للعراقيين، ومنحهم العذر، بل انه لام كل من لا يعذرهم، فقال لطلبته (يجب أن لا نعتب عليهم، (العراقيين) فنحن أسوأ منهم... هؤلاء خرجوا من بلادهم وطلقوا نساءهم وأطفالهم وأموالهم في سبيل الله، وفي سبيل قضية ليس لهم ربح مادي فيها. هؤلاء فعلوا هذا ساعة من الوقت ثم أدركهم الشيطان).<sup>(١)</sup>

نعم فالراوي العليم لهذه القصة . الصدر. يرى ان العراقيين قدموا لأمامهم واسلامهم ومجتمعهم الشيء الكثير وهو يقدر ذلك قائلاً (العراقيون قدموا من التضحيات شيئاً كثيراً، بذلوا أموالهم ونفوسهم ودماءهم في حروب ثلاثة، آلاف من العراقيين ماتوا وقتلوا... لكن نحن يجب أن نقدر موقف هؤلاء الذين ضحوا وبذلوا وقدموا، ثم أصبحوا يشكون)<sup>(٢)</sup> وهنا نفتح مع الصدر على عتبة السؤال المرير بماذا شكوا؟ وكيف شكوا؟ وما هي نتائج هذا الشك؟ وقد أجاب الصدر إجابة مقتضبة وموجزة، ولكنها إجابة جامعة مانعة، عرف بها ظاهرة الشك، حيث يقول ( الشك في القائد، في نظرية القائد وأطروحته التي يكافح من اجلها ويحارب على أساسها)<sup>(٤)</sup> ولكننا يجب ان نتذكر اننا قلنا، . وبغض النظر عن فكرة عصمة الامام العقدي وقرابته من النبي . فان الامام تم اختياره وفقاً لمفهوم الشهرة الراسخة له في الوعي الشعبي، بوصفه الصحابي الالامع بين اقرانه من الصحابة، فان هذا المفهوم سيمثل حصانة لعلي في ذهنية الجماهير، تمنعهم من الشك في نزاهته، ونحن نستبعد ان يكون الشك في شخص علي بقدر ما هو شك في فهم علي للإسلام، فترتب عليه شك اطروحته التي يحارب على أساسها، ويكافح من اجلها، ثم من المتوقع بناء على هذه الشهرة، أن لا يكون ذلك الشك، شكاً واعياً، فيكون شكاً خفياً في اللاوعي الجمعي، ولكنه فاعل وشغال يبدا من غياهب اللاوعي، ويتمظهر في التناقل والتلكؤ، وقد اطلق الصدر على هذا الشك اصطلاح (الشك السلبي) يقول الصدر . وقد استنتنا الخواارج مما يقول . (هذا الشك في أطروحة الإمام كان شكاً سلبياً، يعني كان ينعكس على مستوى سلبي لا على مستوى إيجابي، ينعكس على مستوى التخاذل والتميع والتناقل عن الزحف، والتلكؤ في تلبية الأوامر العسكرية)<sup>(٣)</sup> ويروي الصدر مرارة علي، بحرقه تلسع كل بارد ومكلوم لعلي على السواء (وأصبح الإمام يدفعهم فلا يندفعون، ويحركهم فلا يتحركون.. هو الذي جعل أمير المؤمنين (ع) يبكي وهو على المنبر وينعى أصحابه الذين ذهبوا، أولئك الذين لم يشكوا فيه لحظة)<sup>(٤)</sup>

وعود على تعريف الشك بالقائد والاطروحة الإسلامية، هذه الاخيرة التي استقتل امير المؤمنين على تسويقها وترسيخها في عقول وقلوب قواعده الشعبية وجيشه العقائدي وعبرهم الى المجتمع الإسلامي، ننطلق هنا من اصطلاح نفسي اجتماعي عبر عنه الصدر ب (الشخصية المعنوية للامة) وقصد بها هي الامة المعدة نفسياً وعاطفياً للحضور في الميدان والساحة لتقول كلمتها بكل قوة شجاعة وجرأة، ويرى الصدر أن مثل هذه الامة هي

(١) المصدر السابق، ص ١٦٥

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٥

(٣) امصدر نفسه، ص ٢٥٥

(٤) المصدر نفسه، ص ١٦٣-١٦٤

( التي سهر رسول الله على أعطائها أصلاتها وشخصيتها وكرامتها ووجودها، حتى ألزم نفسه والزمه ربه بمشاورتها، لأجل تربية المسلمين واعدادهم نفسيا لتحمل مسؤوليات الرسالة) كما اعد الرسول (ص) تلك الامة نفسيا وعاطفيا من خلال هذه الشورى، ومن خلال ممارسة حياته البسيطة والمتواضعة بينها، لكي يمرن الامة على مشاركة الحاكم لها في كل ظروفها السياسية والاجتماعية، ولا يستكبر عليها او يترفع عنها فيعيش عيشة الاكاسرة والقياصرة، واطلق الصدر على هذا النوع من الحكم أصطلاح الهرقلية والكسروية. فمن هذه الأرضية والموقع نافح علي واستقتل في مهمته الكبرى من أجل الحفاظ على وجود الامة وعدم تنازلها عن هذا الوجود بينما سعى مناوئوه، منذ رحيل النبي والى زمن معاوية، الى تتنازل الامة عن وجودها او كما يعبر الصدر ( معاوية وجذور معاوية .. كانوا يقودون معركة التنازل عن الوجود بالنسبة للامة .. كانوا يدعون الى ان يصبح الإسلام هرقلية وكسروية .. أمير المؤمنين (ع) الذي أدرك الامة في اللحظات الأخيرة من وجودها المستقل كان يريد أن يمدد هذا الوجود المستقل.. كان هذا الامام العظيم (ع) صامداً مواجهاً لكل المؤامرات على الامة، هذه المؤامرات التي كانت الامة تساهم في صنعها وفي حياكتها على أساس من جهلها وعدم وعيها (١) وقد كرر الصدر مرات (أن الامة لم تكن على مستوى الوعي وانما كانت على مستوى الطاقة الحرارية) (٢).

حاول الامام علي (ع) يقنع تلك الامة ان المعركة بينه وبين أعدائه ليست معركة شخصية مع معاوية ولاهي معركة مصالح ضيقة، ولا معركة قبائل، بل هي معركة اسلام وجاهلية ( كان يحرص على أن يفهم الناس أن واقع المعركة بينه وبين خصومه هو نفس واقع المعركة بين رسول الله (ص) وبين الجاهلية التي حاربه في بدر واحد وغيرهما من المعارك) ولكن هذه الامة كان لها فهم البعيد كل البعد عن واقع المعركة واطروحة امير المؤمنين بيد ان الصدر دعى لفهم الوعي الجمعي قائلاً ( لابد ان ندرس الذهنية العامة للمسلمين .. كيف تفسر الخلاف بين علي ومعاوية ) وقد فسر محتوى ذلك الوعي للشخصية العراقية التي كانت تقاثل في خندق علي، ومضمون شكها، مقرراً ان ( فحوى هذا الشك ومضمونه هو تشكيك الانسان العراقي المجاهد تحت لواء في ان تكون معركة الامام علي مع معاوية معركة الإسلام مع الجاهلية... ) (٣)

ولكنه اكد ان هذا الشك كان شكا مصطنعاً، ولم يكن شكا حقيقياً، وعرض الصدر تحليلاً نفسياً مقنعاً، ينبع من طبيعة بشرية ثابتة، فيقول ( كل أنسان يميل بطبعه الى الدعة ، الى الكسل، الى الراحة، الى الاستقرار، فاذا وضعت أمامه مهام كبيرة، حينئذٍ اذا وجد مجالاً للشك في هذه المهمة فسوف يكون عنده دافع نفسي الى أن يشك، يشك لاجل أنه يريد أن يشك، ويشك لاجل أنه مصلحته أن يشك ) (٤) وكما نلاحظ ان هذا الشك هو نتاج الإرهاق الذي أصاب العراقيين وقطع أنفسهم عن الحاق بعلي فبحثوا عن الذرائع والتبريرات.

(١) مصدر سابق، ص ١٢٤

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٠

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٥

(٤) المصدر نفسه، ص ١٦٣-١٦٤

لكن ثمة أنموذج آخر، وطراز آخر من الاصحاب أستطاع ان ينشأه ويربيه علي، حتى ان علي نفسه، بكاهم بمرارة . ذات مرة . عندما ذكرهم، أولئك الذين، كأمثال عمار وأبو ذر وسلمان ، أولئك الذين استطاعوا بإخلاصهم، أن يكذبوا عذر المعتذرين بثقل مسؤولية العمل الاسلامي، وقد وصفهم الصدر بإكبار (كانوا قد ارتفعوا عن أمثال هذه الشكوك، قد طلقوا مصالحتهم الشخصية في مصلحة الرسالة، كانوا قد غضوا النظر عن كل الاعتبارات الخاصة في سبيل حماية كيان الإسلام، وفي سبيل إعادة مجد المجتمع الإسلامي ووحدة المجتمع الإسلامي).<sup>(١)</sup>

وهكذا فقد كشف الصدر عن جذور هذا الشك من جهة، وأجبنا لماذا يظهر في البيئة الاجتماعية الواحدة أناس مرتابين وشكاكين في القادة الى حد الاتهام بالتخوين وربما العمالة، بينما يوجد أناس مؤمنين ومندفعين الى حد الموت من اجل قادتهم

### المصادر والمراجع:

. القرآن الكريم

١. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، ج ١، الطبعة الأولى، انتشارات الشريف الرضي، قم، ١٣٨٠هـ.
٢. العبد اللاوي، محم، فلسفة الصدر: دراسات في المدرسة الفكرية للإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (طاب ثراه)، الطبعة الثانية، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت . لبنان، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
٣. القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، الطبعة الأولى، مطبعة الغدير، دمشق . سوريا، ١٩٩٧م.
٤. النعيمي، فجر جوده، علم النفس الاجتماعي: دراسة لخفايا الإنسان وقوى المجتمع، مكتبة مؤمن قريش، الطبعة الأولى، العراق / لبنان / كندا، ٢٠١٦م.
٥. الصدر، محمد باقر، أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية، الطبعة الثالثة، شريعت، قم، ١٤٣٠هـ.
٦. الصدر، محمد باقر، بحوث إسلامية ومواضيع أخرى، بضعة الرسول، بغداد . العراق، ١٤٣٣هـ.
٧. الصدر، محمد باقر، الإسلام يقود الحياة، المدرسة الإسلامية - رسالتنا، الطبعة الثالثة، ظهور، قم، ١٤٢٦هـ.
٨. الصدر، محمد باقر، نشأة التشيع والشيعة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الجبار شرارة، بدون تاريخ.

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٥

٩. الصدر، محمد باقر، ومضات: مجموعة من مقالات ومحاضرات ووثائق، شريعت، قم، ١٤٢٨هـ.
١٠. الصدر، محمد صادق، موسوعة الإمام المهدي، ج٢، هيئة تراث السيد الشهيد الصدر، النجف الأشرف، ١٤٣٢هـ.
- ١١- زهران، حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعي، الطبعة الخامسة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٤م.